مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد (٢)، العدد (١)، ص ص ١٧٣-٢١٩ (يناير ٢٠٠٩م / محرم ١٤٣٠هـ .)

آيات الخشوع "دراسة تفسيرية"

محمد بن عبدالله بن محمد العيدي
الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه
كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة القصيم

(قدم للنشر ١٤٢٩/١/٢١هـ .؛ وقبل للنشر ١٤٢٩/٦/٣هـ .)

ملخص البحث. قمت بإعداد المقدمة وذكرت فيها سبب اختياري للموضوع. ثم التمهيد: وذكرت فيه:

أولاً: تعريف الخشوع لغة، ثم تعريفه اصطلاحاً، واخترت ما رجحه ابن القيم: وهو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل. وثانياً: حقيقته وهو: ما يقوم في النفس من التعظيم والمحبة والذل والانكسار لله تعالى، فيظهر عنه خشوع القلب والجوارح معاً، بما يلائم مقصود العبادة. وثالثاً: درجاته: وأنها على ثلاث درجات. ورابعاً: أهميته: فهو روح العبادة وسرها. وخامساً: أنواعه، فهو على نوعين: خشوع إيمان، وخشوع نفاق. وسادساً: أسبابه، وهي كثيرة، وبعضها تابع لبعض، ولكن أهمها: استحضار عظمة الله تعالى، والإقبال إليه بالفكر والقلب والجوارح، فيعبد الله كأنه يراه. وسابعاً: معانيه الواردة في القرآن الكريم وهي: التواضع، والخوف، وسكون الجوارح، والتذلل، واليبس. ثم الدراسة التفسيرية: وتناولت فيها آيات الخشوع مرتبة حسب ورودها في المصحف، فأذكر المعنى العام مستفيداً من بعض كتب التفسير، مع توضيح ما يحتاج إلى بيان، من معنى للكلمة الغريبة، وأصل للدلالة اللغوية. ثم أذكر ما تدل عليه الآية من هدايات ودلالات. ثم أذكر ما ورد في الآية من بعض لطائف التفسير، والمعاني البلاغية، التي تعين على فهم المعنى، وبيان المراد. ثم قمت بعزو الآيات القرآنية، ذاكراً اسم السورة، ورقم الآية. ثم تخريج الأحاديث، مكتفياً بالصحيحين أو أحدهما، فإن لم يكن فمما وجدته في كتب السنة، مع الاجتهاد في بيان درجته من أقوال بعض أهل العلم. ولم أترجم للأعلام المشهورة. ثم ذكرت الخاتمة ثم فهرس المصادر والمراجع. وبالله التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٣].

أما بعد[٤]

فقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم بلسان عربي مبين على رسوله الأمين ﷺ، ليكون دستوراً ومنهج حياة للمسلمين، كما كان عليه هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، فلهم فيه صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فهو المبلغ عن ربه عز وجل، وهو النموذج القرآني البشري الذي يجب أن يقتدى به، فقد كان صلى الله عليه وسلم: خلقه القرآن[٥]، وقد أثنى الله تعالى عليه ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٦]. فحري بكل مسلم أن يلتزم بهذه القدوة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٧]. فإذا نظرنا إلى حال الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، ومن جاء بعدهم من السلف الصالح، نجد أنهم يعملون الخير ويجتهدون فيه، ومع ذلك قلوبهم وجلة وفرائصهم مرتعدة، لأنهم أيقنوا أنهم إلى ربهم راجعون، فتذكروا هول المطلع، وعظمة الموقف، ونظروا إلى أعمالهم وضآلتها، وجهودهم وقلتها، ثم هي لا تسلم من

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣) الأحزاب: ٧٠، ٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح بها خطبه ودروسه ومواعظه، وللشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ رسالة نافعة فيها فراجعها.

(٥) كما أخرجه مسلم في صحيحه ٥١٣/١، عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله تعالى عنها – في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم الحديث: ١٣٩.

(٦) القلم: ٣.

(٧) الأحزاب: ٢١.

خلل ، فكان هذا الوجل طريقهم إلى الاطمئنان ، والخوف سبباً للأمان ، والإشفاق قائداً لرضا الرحمن ، فهذه حال السلف الصالح : أعمال جليلة ، وعبادة عظيمة ، وخشوع متزايد ، مع خوف ووجل وإشفاق وخشية ، فكانوا بتوفيق الله تعالى لهم في زيادة عمل وإيمان ويقين. وقد صور الله تعالى حالهم بقوله﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾[٨].وقد قيل في وصف حالهم :

إذا مـــا الليـــل أظلـــم كابـــدوه فيـــسفر عـــنهم وهـــم ركـــوع

أطـــار الخـــوف نـــومهم فقـــاموا وأهـــل الأمـــن في الـــدنيا هجـــوع[٩]

فهذا الخشوع والتذلل والانقياد الذي ظهر على جوارحهم ناشئ عن خشوع قلوبهم وذلها وانكسارها لله تعالى. وإذا نظرنا إلى حال كثير من الناس في هذا الزمان نجد أنهم على قلة في الطاعة ، وتقصير في العبادة ، ومخالفة للسنة ، ومنادمة للخطيئة ، وميل للشهوات ، ثم لا عين تدمع ، ولا قلب يخشع ، ولا خوف يردع ، ولا تذكر لهول المطلع ، وهذا ناتج من ضعف إيمانهم بالله تعالى ، وقلة مهابته وتعظيمه جل وعلا ، ومع ذلك فقد يظهر عند هؤلاء خشوع على الجوارح تصنعاً وتكلفاً ورياءً ، ولكن القلب غير خاشع ، وهذا خشوع النفاق. وقد دفعني للبحث في هذا الموضوع أهميته العظيمة التي تتعلق بحياة الناس ، وضبط سلوكهم ، وما له من ارتباط بالثواب والعقاب ، والقبول والرد ، لإثارة داعي الرجاء والخوف عند الناس ، لامتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وكذلك ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن حال الكثير من الناس ، وأن هذا سيكون في هذه الأمة ، حيث قال : (أول ما يرفع من الناس الخشوع)[١٠]. فالمراد بالخشوع هنا : خشوع الإيمان الذي هو روح العبادةوسرها ، وهو الخضوع أو السكون له سبحانه ، أو معنىً يقوم في النفس يظهر عنه سكون الأطراف يلائم مقصود العبادة[١١]. وهذا الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم ، والسلف الصالح رحمهم الله تعالى ، حيث خشعت قلوبهم لله تعالى بالإجلال والوقار والمهابة والتعظيم والحياء. ومن خلال ما تقدم ندرك أن هذا الجانب الإيماني العظيم ، وهو الخشوع ، وما يترتب عليه من آثار حميدة ، تُكْسِبُ النفسَ مهابة لله تعالى وإجلالاً وتعظيماً وحياءً ، جدير أن يبحث لتعرف معانيه ومدلولاته وصفات أهله ، بما يثمر عن نتائج إيجابية ، ومعان سامية ، يعود نفعها بإذن الله تعالى على الفرد والمجتمع ، نفعنا الله تعالى بذلك.

---

(٨) الأنبياء : ٤٩.

(٩) انظر التخويف من النار لابن رجب ص (٢٧) ، فقد نسبه إلى ابن المبارك –رحمه الله تعالى – .

(١٠) حسنه السيوطي كما ذكره المناوي في فيض القدير ٨٨/٣ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٥٠٣/١ ، رقم الحديث (٢٥٧٦).

(١١) انظر فيض القدير٨٨/٣ ، وفتح الباري ٢٦٤/٢.

وقد جاءت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة: وذكرت فيها سبب اختيار الموضوع.

التمهيد: وذكرت فيه:

أولاً: تعريف الخشوع لغة واصطلاحاً.

ثانياً: حقيقته.

ثالثاً: درجاته.

رابعاً: أهميته.

خامساً: أنواعه.

سادساً: أسبابه.

سابعاً: معانيه الواردة في القرآن الكريم.

الدراسة التفسيرية: وتناولت فيها آيات الخشوع مرتبة حسب ورودها في المصحف.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

وقد سرت في كتابة هذا البحث حسب المنهج الآتي:

- أذكر الآية الوارد فيها الخشوع فقط، وإذا رأيت أن لها ارتباطاً بسابقتها أو لاحقتها فإني أذكرهما معاً.
- أذكر المعنى العام مستفيداً من بعض كتب التفسير، مع توضيح ما يحتاج إلى بيان، من معنى للكلمة الغريبة، وأصل للدلالة اللغوية.
- أذكر ما تدل عليه الآية من هدايات ودلالات.
- أذكر ما ورد في الآية من بعض لطائف التفسير، والمعاني البلاغية، التي تعين على فهم المعنى، وبيان المراد.
- عزو الآيات القرآنية، ذاكراً اسم السورة، ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث، مكتفياً بالصحيحين أو أحدهما، فإن لم يكن فمما وجدته في كتب السنة، مع الاجتهاد في بيان درجته من أقوال بعض أهل العلم.
- لم أترجم للأعلام المشهورة.

وقد اجتهدت في بذل وسعي في جمع هذه المادة، مع الاعتراف بالتقصير، راجياً من الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا البحث، وأن يكون سبباً لعبادة الله تعالى على بصيرة لمن كتبه وقرأه وسمعه. اللهم آمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين لهم بإحسان.

التمهيد

ويشتمل على:

أولاً: تعريف الخشوع لغةً

الخضوع، والتواضع، والتطامن. يقال: خشع يخشع خشوعاً واختشع، إذا خضع وتواضع وتطامن[١٢].

أما الخشوع اصطلاحاً

فعبارات العلماء فيه متقاربة[١٣]، وقد اخترت منها ما اختاره ورجحه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، لأنه أجمعها، حيث قال: الخشوع: قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل[١٤].

ثانياً: حقيقة الخشوع

هو ما يقوم في النفس من التعظيم والمحبة والذل والانكسار لله تعالى، يظهر عنه سكون في الجوارح، يلائم مقصود العبادة. فلابد من اعتبار الأمرين، خشوع القلب، وخشوع الجوارح، حتى يكون ذلك من قبيل الخشوع المعتبر، لأن الخشوع محله القلب، وثمرته على الجوارح، فهي تظهره. فالخشوع إذن يتضمن معنيين، أحدهما: التواضع والذل. والثاني: السكون والطمأنينة. وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة، فخشوع القلب يتضمن عبودية لله تعالى، وطمأنينته أيضاً. ولهذا كان الخشوع في الصلاة يتضمن هذا وهذا، التواضع والسكون. فالمؤمن الحق يتعبد الله تعالى بهذا الخشوع، فيصير مخبتاً لربه عز وجل، وقد انجلى صدره، وأشرقت فيه أنوار العظمة لله تعالى، وخمدت نيران شهوته، وسكن دخانها عن صدره. فمتى ما خشعت القلوب لربها عز وجل تضرعت لمولاها، وتبع ذلك لهج الألسن بذكره، ودمع العيون، وخضوع الجباه، فيمتلئ هذا القلب بالإيمان بالله تعالى، فيكون دائماً على صلة بربه جل وعلا، فيستحضر مخافته وتعظيمه وإجلاله وتقديره كما ينبغي، فهو بهذا قد تحقق في نفسه معنى: الله أكبر، فيعتقد يقيناً لا ادعاءً أن الله أكبر من كل شيء، ولا يكن حاله كحال أهل الغفلة الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[١٥، ١٦].

---

(١٢) انظر الصحاح ١٢٠٤/٣، ومعجم مقاييس اللغة ١٨٢/٢، ولسان العرب ٢٥٨/٢، مادة (خشع).

(١٣) انظر مجموع الفتاوى ٢٨/٧، ومدارج السالكين ٥٢١/١، وفتح الباري ٢٦٤/٢، وفتح القدير ٢٤٦/٥، والمعجم الصوفي ٦٣٦/٢، وآيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية (٢٣).

(١٤) مدارج السالكين ٥٢١/١.

(١٥) الزمر: ٦٧.

(١٦) انظر مجموع الفتاوى ٢٨/٧، ومدارج السالكين ٥٢١/١-٥٢٢، والخشوع في الصلاة لابن رجب (١١ - ١٤)، وفتح الباري ٢٦٤/٢، وحقيقة الخشوع(٤٥- ٤٧)، وأعمال القلوب (٢، ٣).

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي(١٧): [ومن تمام خشوع العبد لله عز وجل وتواضعه له في ركوعِه وسجودِه أنه إذا ذلَّ لربه بالركوع والسجود وصف ربَّه حينئذ بصفات العزِّ والكبرياء والعَظَمَة والعلوِّ، فكأنه يقول: الذلُّ والتواضع وصفي، والعلو والعظمةُ والكبرياء وَصْفُكَ، ولهذا شُرِع للعبد في ركوعه أن يقول: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده سبحان ربي الأعلى](١٨،١٩).

ثالثاً: درجات الخشوع

لا شك أن هذا المعنى يتفاوت عند الناس، فليسوا فيه على مستوى واحد، وقد قسم ابن القيم رحمه الله درجاته إلى ثلاث درجات:

الأولى: التذلل لأمر الله سبحانه وتعالى، مع الاستسلام لحكمه، والتواضع لنظره عز وجل. فيستسلم العبد لأمر ربه جل وعلا، وينقاد إليه ظاهراً وباطناً، مع إظهار الضعف والافتقار إلى الهداية للأمر قبل الفعل، والإعانة عليه حال الفعل، وينقاد لأحكامه القدرية والشرعية، فلا يتسخط ولا يعترض، ويتطامن ويتواضع بقلبه وجوارحه لله عز وجل، مستشعراً بذلك مراقبة الله تعالى، واطلاعه على جميع أحواله، ومحاسبته له. فإذا استشعر العبد مقام ربه عليه بالاطلاع والقدرة والربوبية، وتحقق خوفه من هذا المقام، وترسخ في قلبه قول الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾(٢٠) أوجب له ذلك خشوع القلب لا محالة. وكلما كان العبد أشد استحضاراً لذلك كان أشد خشوعاً، فالعلم النافع هو ما باشر القلوب، فأوجب لها السكينة والخشية والإخبات والتواضع والانكسار لله عز وجل. وإذا لم يباشر القلبَ هذا العلمُ، وإنما كان على اللسان، فإن الخشوع يفارق القلب، فيغفل عن مراقبة الله تعالى له، و اطلاعه عليه، ومحاسبته له.

الثانية: ترقب آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل، فيرجع إلى نفسه باستشعار نقصها وضعفها وعيوبها وتقصيرها، وغير ذلك من عيوب النفس، ومفسدات الأعمال، فيحمله ذلك على الخشوع والتواضع لله تعالى. فأما في نظره إلى ذوي الفضل، فينظر إلى مناقبهم ومحاسنهم، فيثني عليهم، ويجتهد في منافستهم، ويراعي

---

(١٧) هو الإمام الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي، ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ، تتلمذ على أبيه، ولازم ابن القيم، ورحل في طلب العلم إلى مصر ومكة ودمشق، ومهر في فنون الحديث، وامتاز بسعة اطلاعه على أقوال المتقدمين، من أشهر تلاميذه ابن حجر العسقلاني، من مصنفاته: شرح الترمذي، ولطائف المعارف، والتخويف من النار، وفضل علم السلف على علم الخلف. توفي سنة ٧٩٥هـ. انظر إنباء الغُمر ١٧٥/٣، ١٧٦، والدرر الكامنة ٣٢١/٢، والبدر الطالع ٢٢٨/١.

(١٨) كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ٥٣٦/١، ٥٣٧، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٢٧) رقم الحديث (٧٧٢).

(١٩) الخشوع في الصلاة (٢٨).

(٢٠) الأنعام: ١٥.

حقوقهم فيؤديها، ويشكر معروفهم، ويحفظ صنائعهم، فلا تضيع ولا تنسى، ولا يرى أن ما فعلوه من فضل إنما كان من حقه عليهم، بل ينسى فضل نفسه، فلا يرى أن له على أحد فضلاً، فلا يعاتب ولا يطالب، ولا يتشوق إلى رد المعروف الذي استشعره عليهم، فينظر إلى نفسه بعين النقص، وإلى غيره بعين الإكرام والإجلال، فمن ثم فإنه لا يتعالى على الخلق، ولا يجد له عليهم معروفاً ولا صنيعاً، وهذا من أكمل الكمالات.

الثالثة: إخلاص أعماله لله عز وجل، وتصفية الوقت من مراءاة الخلق، وتجريد رؤية الفضل لله تعالى. فهو يجتهد ويجاهد نفسه بتصفية قلبه من النظر إلى المخلوقين، فلا يلتفت إليهم بعمله الصالح، ولا يعمل أعمالاً صالحة وقلبه يتشبث بهم ويتطلع إليهم، هذا مع بذل جهده في إخفاء أحواله عن المخلوقين، كخشوعه وذله وانكساره، لئلا يراها الناس فيعجبه اطلاعهم عليها، ورؤيتهم لها، فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله مع الله عز وجل، ومع ذلك فهو قد جرد الفضل لله تعالى بهدايته وتوفيقه للخير، فلا يرى الفضل والإحسان إلا من الله عز وجل، فهو المانّ به، وليس هذا المخلوق الضعيف، كما قال تعالى﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٢١)(٢٢).

رابعاً: أهمية الخشوع

لا شك أن هذا الموضوع في غاية الأهمية، فهو روح العبادة وسرها، ويدل على ذلك ورود ذكره مقترناً في أنواع العبادات، كالصلاة، حينما وصف الله تعالى المؤمنين في قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾(٢٣). فجعل هذا الوصف أول صفاتهم، لأنه يتعلق بأعظم العبادات، وبأعظم جوهر في هذه العبادة. وكذلك جاء ذكره مع شروط الصلاة، وأركانها، وأنه سبب في مغفرة الذنوب، في قوله صلى الله عليه وسلم: (خمس صلوات افترضهن الله تعالى، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه)(٢٤). وقال صلى الله عليه وسلم: (من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه)(٢٥).وكذلك اقترانه بفعل الخيرات والدعوات في قوله تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩

---

(٢١) الحجرات: ١٧.

(٢٢) انظر مدارج السالكين ١/٥٢٢-٥٢٤، والخشوع في الصلاة لابن رجب (١٦)، والمعجم الصوفي ٢/٦٣٧، وأعمال القلوب (١٢-١٤).

(٢٣) المؤمنون: ١، ٢.

(٢٤) سنن أبي داود ١/٢٩٦، ٢٩٥، كتاب الصلاة، باب المحافظة على وقت الصلوات، الحديث رقم (٤٢٥). وانظر سنن ابن ماجة ١/٤٤٨، ٤٤٩، كتاب إقامة الصلاة، الحديث رقم (١٤٠١)، وقد صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/٨٦.

(٢٥) صحيح البخاري ١/٤٨، كتاب الوضوء، باب (٢٤)، وانظر صحيح مسلم ١/٢٠٥ كتاب الطهارة، رقم الحديث (٣).

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (٢٦) وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه)(٢٧)، وكان النبي ﷺ عليه وسلم يستعيذ من قلب لا يخشع(٢٨). وكذلك اقترانه بتلاوة القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾(٢٩). كما أن الله تعالى ذم قسوة القلوب المنافية للخشوع في غير موضع من كتابه، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾(٣٠)، وكذلك نجد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾(٣١)، حيث إن الله تعالى استبطأ المؤمنين في تحقيق هذا الوصف، فعاتبهم في هذه الآية بدعوتهم إلى خشوع قلوبهم، وخضوعها لذكر الله وما نزل من القرآن، ونهاهم أن يكونوا كالذين طال عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم فقست قلوبهم. فبهذا يتبين لنا أهمية الخشوع، وأنه يجب على المسلم أن يحرص عليه، وأن يعمل بأسبابه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولهذا لما كان السلف الصالح من هذه الأمة أهل خشوع، وإنابة لله تعالى، مكّن الله تعالى لهم، ورفع قدرهم، وأعلى مكانتهم، وخلد ذكرهم.(٣٢)

خامساً: أنواع الخشوع

الصورة الظاهرة للخشوع تجعل المرء يتحد مع غيره ممن يتصف بهذه الصفة، إلا أن الأمر في الحقيقة يختلف من شخص لآخر، وذلك بسبب ما يقوم في القلب من الحقائق والدواعي، ومن هنا يتبين أن الخشوع على نوعين:

الأول: خشوع الإيمان: وهو الخشوع الصادق، الخشوع الحقيقي، الذي أراده الله تعالى من عباده المؤمنين،

---

(٢٦) الأنبياء: ٨٩، ٩٠.

(٢٧) سنن الترمذي ٥/٥١٧، كتاب الدعوات، باب (٦٦)، الحديث (٣٤٧٩)، وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/١٤٣، رقم الحديث (٥٩٤).

(٢٨) انظر سنن الترمذي ٥/٥١٩، كتاب الدعوات، باب (٦٩)، الحديث (٣٤٨٢)، وقد صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/١٦٥.

(٢٩) الإسراء: ١٠٧، ١٠٩.

(٣٠) البقرة: ٧٤.

(٣١) الحديد: ١٦.

(٣٢) انظر معالم التنزيل ٨/٣٧، ومجموع الفتاوى ٧/٢٨-٣٠، ومدارج السالكين ١/٥٢٠، ٥٢٦، وعمارة المساجد المعنوية وفضلها (١٦)، والخشوع في الصلاة للدكتور محمد لطفي الصباغ (١٤- ١٦)، وأعمال القلوب (٥-٨)، والخشوع لعبد الحكيم بلال (٣-٤).

وأمرهم به، وأحبه منهم، فانقادوا لأمره جل وعلا، فخشعت قلوبهم له عز وجل بالتعظيم والإجلال، والوقار والمهابة والحياء، وتبع ذلك خشوع جوارحهم، فتواطأت مع القلب في هذا الخشوع المحمود، الذي نشأ من مراقبة الله تعالى، واستحضار نظره إلى عبده، وعلموا يقيناً أن العبد متى ما كان أكثر استحضاراً لهذا المعنى فإن الخشوع يزيد في قلبه، وتظهر ثمرته على الجوارح بسبب هذه العبادة القلبية في جميع الأحوال، سواء في الصلاة أو في غيرها.

الثاني: خشوع النفاق: وهو الخشوع الكاذب، الخشوع الادعائي المتكلف، وهو خشوع الظاهر دون مواطأة الباطن، الذي هو محله أصلاً، فلما فرغ الباطن من هذا الخشوع، لم ينتفع منه صاحبه، ولو ظهر على جوارحه، وتكلف له على سبيل النظر إلى الخلق من أجل تحصيل محمدتهم، وقد كان السلف الصالح يستعيذون من هذا النوع من الخشوع، لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تعوذوا بالله من خشوع النفاق. قالوا يا رسول الله: وما خشوع النفاق؟ قال: خشوع البدن ونفاق القلب)[٣٣]. ومعلوم أنه إذا صلح القلب صلح الجسد كله، وليس إذا كان الجسد في عبادة يكون القلب قائماً بحقائقها. والأصل أن الخشوع من شأنه أن لا يُتَكلف له، لكن قد يحصل أن العبد يتكلفه بجوارحه مع مجاهدة حضور قلبه من أجل الوصول إلى الخشوع، وهذا ليس بمذموم بشرط أن لا يظهر ذلك أمام الناس، بل يكون بعيداً عن نظرهم، ولا يلتفت إليهم بقلبه، ولا يحضر مجامعهم بهذا الفعل الذي يتصنع فيه الخشوع، حينما يتظاهر به، أو يتكلف له، أو يحاول البكاء لتحصيله، فهذا من باب المجاهدة للنفس والشيطان، لترويض النفس على الخشوع لله عز وجل[٣٤].

سادساً: أسباب الخشوع

لعل من أهم أسباب الخشوع ما يأتي:

١- استحضار العبد عظمة الله تعالى، والإقبال إليه جل وعلا بالفكر والقلب والجوارح، فيعبد الله تعالى كأنه يراه.

٢- تلقي أوامر الله تعالى بالقبول والامتثال، وعدم معارضتها بشهوة أو شبهة أو رأي.

٣- الحرص على الإخلاص، وإخفاء الأعمال عن الخلق قدر المستطاع، ومطالعة عيوب النفس، ونقائص الأعمال ومفسداتها، من الكبر والعجب والرياء وضعف الصدق، والاعتراف بالتقصير في إكمال العمل وإتمامه.

٤- استحضار تفاهة الدنيا، ومعرفتها على حقيقتها، والحرص على أكل الحلال، ففيه ترقيق للقلب، وجلب للخشية، وقرب من الرب جل وعلا، وإجابة للدعوة.

---

(٣٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣٦٤/٥، رقم الحديث ٦٩٦٧.

(٣٤) انظر مجموع الفتاوى ٣٦٧/٧، ٣٦٨، ومدارج السالكين ٥٢١/١، وزاد المعاد ١٨٥/١، والروح (٢٣٢)، والخشوع في الصلاة لابن رجب (١٣، ١٤)، والخشوع في الصلاة للدكتور محمد لطفي الصباغ (١٩، ١٨)، وأعمال القلوب (١٧-١٩)، وآيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية (١١٥-١٨٠).

٥- الإكثار من ذكر الموت، ومحاسبة النفس، وتذكر الموقف والمقام بين يدي الله تعالى.

٦- الإشفاق من رد الأعمال، وعدم قبولها، والتوازن بين الخوف والرجاء.

٧- الاعتراف بفضل الله تعالى وإحسانه، والحياء منه ؛ لاطلاعه على تفاصيل ما في القلوب، وإظهار الضعف والافتقار إليه، والتعلق به دون غيره سبحانه، مع طلب هدايته وتوفيقه وتسديده.

٨- معرفة الله جل جلاله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، والتزود من العلم الشرعي الذي يورث الرجاء والخوف من الله تعالى، ويجلب محبته والثقة بما عنده.

٩- معاودة التوبة مرة بعد مرة، كما كان عليه هدي النبي ﷺ حيث قال: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)[٣٥]، ولقوله ﷺ: (يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة)[٣٦]، فالتوبة تجب ما قبلها، وتصفي القلب، وتجعله شفافاً رقيقاً، وتعين على الخشوع.

١٠- الإكثار من ذكر الله تضرعاً وخِيفة، ودعائه تضرعاً وخُفية، فإن ذلك أعظم إيماناً، وأبلغ في الأدب، والتعظيم، والتضرع، والخشوع، والإخلاص، وجمعية القلب على الله تعالى.

١١- الإقبال على كتاب الله الكريم، مع تعاهد التلاوة، وإدامة النظر، وطول التأمل، وكثرة التدبر، الذي يورث الصلة بالله تعالى، والمسارعة في الطاعات، واستباق الخيرات، وهو الأمر الذي لأجله أنزل الله تعالى القرآن الكريم[٣٧].

سابعاً: معاني الخشوع في القرآن

يأتي الخشوع في القرآن على خمسة أوجه: التواضع، والخوف، وسكون الجوارح، والتذلل، واليبس[٣٨].

الأول: الخشوع بمعنى التواضع، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٣٩] أي: المتواضعين[٤٠].

---

(٣٥) كما أخرجه البخاري في صحيحه ١٤٥/٧، كتاب الدعوات باب (٣).

(٣٦) كما أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٧٥/٤، ٢٠٧٦، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم الحديث (٤٢).

(٣٧) انظر الخشوع في الصلاة للدكتور محمد لطفي الصباغ، ٤٦، ٤٩-٥٢، ٦٩-٧٦، وأعمال القلوب (١٩-٢٦)، والخشوع لعبد الحكيم بلال (٤-٥).

(٣٨) نص على الوجوه الأربعة الأولى الإمام الدامغاني في كتابه الوجوه والنظائر (١٥٨)، أما الوجه الخامس فذكره مجموعة من المفسرين: كما في تفسير الطبري ١٢٢/٢٤، وتفسير البغوي ١٧٥/٧، وتفسير القرطبي ٣٦٥/١٥، وتفسير النسفي ٣٨٠/٤، واللباب ١٤٤/١٧، وفتح القدير ٥١٨/٤.

(٣٩) البقرة: ٤٥.

(٤٠) انظر تفسير الطبري ٢٦١/١، وتفسير الخازن ٥٦/١، وتفسير ابن كثير ٨٨/١.

الثاني: الخشوع بمعنى الخوف، كقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ [٤١] أي: خائفين[٤٢].

الثالث: الخشوع بمعنى سكون الجوارح، ورمي البصر إلى موضع السجود، كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴾ [٤٣] أي: ساكنون[٤٤].

الرابع: الخشوع بمعنى الذل والتذلل، كقوله تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ ﴾[٤٥] أي: ذلت[٤٦]. وبمعنى ذليلة، كقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴾[٤٧،٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾[٤٩،٥٠]، وقوله تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ ﴾ [٥١،٥٢].

الخامس: الخشوع بمعنى اليبس، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [٥٣] أي: يابسة[٥٤].

الدراسة التفسيرية

الآية الأولى

قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [٥٥].

---

(٤١) الأنبياء: ٩٠.
(٤٢) انظر تفسير البغوي ٥/٣٥٣، وتفسير الخازن ٤/٣٢١، وتفسير ابن كثير ٣/١٩٣.
(٤٣) المؤمنون: ٢.
(٤٤) انظر تفسير الطبري ١٨/٢، وتفسير ابن كثير ٣/٢٣٨، وتفسير الدر المنثور ٦/٨٣-٨٥.
(٤٥) طه: ١٠٨.
(٤٦) انظر تفسير البغوي ٥/٢٩٥، وتفسير الخازن ٤/٢٨٠، وتفسير السعدي (٥١٣).
(٤٧) الغاشية: ٢.
(٤٨) انظر تفسير الطبري ٣٠/١٦٠، وتفسير الخازن٧/٢٣٧، وتفسير ابن كثير٤/٥٠٢.
(٤٩) القلم: ٤٣.
(٥٠) انظر تفسير الطبري ٢٩/٤٢، وتفسير الخازن ٧/١٤٠.
(٥١) القمر: ٧.
(٥٢) انظر تفسير الطبري ٢٧/٨٩، وتفسير الخازن ٦/٢٧٤، وتفسير ابن كثير ٤/٢٦٣.
(٥٣) فصلت: ٣٩.
(٥٤) انظر تفسير الطبري ٢٤/١٢٢، وتفسير البغوي ٧/١٧٥، وتفسير القرطبي ١٥/٣٦٥، وتفسير النسفي ٤/٣٨٠، واللباب ١٧/١٤٤، وفتح القدير ٤/٥١٨.
(٥٥) البقرة: ٤٥، ٤٦.

المعنى العام

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ استعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتموني في كتابكم، من طاعتي واتباع أمري، وترك ما تهوونه من الرياسة وحب الدنيا، إلى ما تكرهونه من التسليم لأمري، واتباع رسولي محمد ﷺ، بالصبر عليه وبالصلاة، ففيهما المعونة العظيمة على كل أمر من الأمور، فأمَرَ اللهُ جل ثناؤه الذين وصَفَ أمرهم من أحبار بني إسرائيل أن يجعلوا مفزعهم في الوفاء بعهد الله الذي عاهدوه إلى الاستعانة بالصبر والصلاة، كما أمر نبيه محمداً ﷺ بذلك، فقال له: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (٥٦)، فالأمر للنبي ﷺ بالفزع إلى الصبر والصلاة في نوائبه، لأنهما من أكبر العون على الثبات في الأمر.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ لشديدة و ثقيلة وشاقة إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين سطواته، المصدقين بوعده ووعيده، فإنها سهلة عليهم خفيفة؛ لأن الخشوع، وخشية الله، ورجاء ما عنده يوجب لهم فعلها منشرحة بها صدورهم، لترقبهم الثواب، وخشيتهم من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه.والخشوع هنا هو: خضوع القلب وطمأنينته، وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه، ذلا وافتقارا، وإيمانا به وبلقائه.

فمعنى الآية: واستعينوا أيها الأحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله، وكفها عن معاصي الله، وبإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر، المقربة من مراضي الله، العظيمة إقامتها، إلا على المتواضعين لله، المستكينين لطاعته، المتذللين من مخافته.

والظاهر أن الآية وإن كانت خطابًا في سياق إنذار بني إسرائيل، فإنهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص، وإنما هي عامة لهم ولغيرهم. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ هذا من تمام الكلام الذي قبله، أي: وإن الصلاة لثقيلة إلا على الخاشعين الذين أيقنوا أنهم ملاقو ربهم، فهم يعلمون أنهم محشورون إليه يوم القيامة، معروضون عليه جل وعلا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ أي: أمورهم راجعة إلى مشيئته، يحكم فيها بما يشاء سبحانه. فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سَهُل عليهم فعلُ الطاعات، وترك المنكرات، و التسلي في المصيبات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات. وأما من لم يؤمن بلقاء ربه، كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه(٥٧).

---

(٥٦) طه: ١٣٠.

(٥٧) انظر تفسير الطبري ١/٢٥٩-٢٦١، وتفسير البغوي ١/٨٩، و تفسير الخازن ١/٥٥، ٥٦، وتفسير ابن كثير ١/٨٧، ٨٨، وفتح القدير ١/٧٨-٨١ وتفسير السعدي (٥١).

الهدايات والدلالات

١- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلا إذا ورد ما يخصص ذلك بشخصٍ أو طائفة أو مكان أو زمان أو حادثة.

٢- الواجب على الإنسان أن يؤثر الحق الذي يعلمه على ما يتمتع به بما يوافق شهوته وهواه، فاليهود خوطبوا بذلك حيث كانوا يعلمون صدق نبوة محمد ﷺ ويتحرون بعثته.

٣- المبادرة إلى اتخاذ القرار الشجاع، والدخول في موكب الإيمان، بكل قوة وشجاعة، وتجرد لله عز وجل، واستعانة بالصبر والصلاة.

٤- مشروعية الاستعانة على صعاب الأمور وشاقها بالصبر والصلاة.

٥- الاستعانة بالصبر تتكرر كثيراً في القرآن، كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[٥٩] لأنه الزاد الذي لا بد منه لمواجهة كل مشقة، والاعتراف بالحقيقة والخضوع لها.

٦- خص الله تعالى الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات تنويها بذكرها، لأنها صلة بين العبد وبين ربه جل وعلا، فهي صلة يستمد منها القلب قوة إيمانية، وتستشعر فيها الروح صلة بالله عز وجل، وتجد فيها النفس زاداً للإقبال على الله تعالى، والتخلي عن أعراض الحياة الدنيا الزائلة، والراحة التامة من مشاق الحياة، فقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة[٦٠]، مع أنه قوي الصلة بربه جل وعلا، فلنا فيه ﷺ أسوة حسنة.

٧- هذه المبادرة كبيرة وشاقة، إلا على الخاشعين الخاضعين لله عز وجل، العاملين بتقواه، الموقنين بلقائه والرجعة إليه سبحانه.

٨- فضيلة الخشوع والتطامن لله تعالى، وذكر الموت، والرجوع إلى الله تعالى للحساب والجزاء.

٩- الخشوع في الصلاة وسائر العبادات من أهم سمات المؤمن، وقوة إيمانه.

---

(٥٨) آل عمران: ٢٠٠.

(٥٩) ص: ١٧.

(٦٠) أخرجه أبو داود في سننه ٧٨/٢، كتاب الصلاة باب (٣١٢) الحديث (١٣١٩)، وأحمد في مسنده ٣٨٨/٥، وقد حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢٤٥/١.

١٠- اليقين بلقاء الله تعالى هو مناط الخضوع له سبحانه و تعالى، والعمل بتقواه، والصبر على مجاهدة النفس، ومنعها من تطاولها، وترك حظوظها، وقمعها عن شهواتها.(٦١)

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

قدم الصبر على الصلاة لأن تأثير الصبر في إزالة مالا ينبغي، وتأثير الصلاة في حصول ما ينبغي، والله أعلم. وفي التعبير هنا برد الكناية إلى الصلاة لعظم شأنها، أو لأنها أعم، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا ﴾ (٦٢) فقد رد الكناية إلى الفضة لأنها أعم، وقيل: رد الكناية إلى الصلاة لاشتمالها على ضروب من الصبر، أو لأن الصبر داخل فيها، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾(٦٣)، ولم يقل يرضوهما، لأن رضا الرسول داخل في رضا الله. والتعبير بالكبيرة هنا إشارة إلى المهمة الصعبة التي تشق على النفوس، وإطلاق الكبر على الأمر الصعب والشاق مجاز مشهور في كلام العرب، لأن المشقة من لوازم الأمر الكبير في حمله أو تحصيله، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ (٦٤)، وقال: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ ﴾ (٦٥)، وقال تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ ﴾(٦٦).

والمقصود من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ التعريض بالثناء على المسلمين، وتحريض بني إسرائيل على التهمم بالاقتداء بالمؤمنين. وعلى جعل الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ ﴾ للمسلمين يكون قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ تعريضا بغيرهم من اليهود والمنافقين. و المراد من الظن هنا الاعتقاد الجازم ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفًا ﴾ (٦٧) فهم أيقنوا بلقاء الله تعالى كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ (٦٨، ٦٩).

---

(٦١) انظر تفسير القرطبي ١/٣٧١ـ٣٧٤، وصفوة التفاسير ١/٥٦، وأيسر التفاسير ١/٤٤، وآيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية (١٥٩، ١٦٥).

(٦٢) التوبة: ٣٤.

(٦٣) التوبة: ٦٢.

(٦٤) البقرة: ١٤٣.

(٦٥) الأنعام: ٣٥.

(٦٦) الشورى: ١٣.

(٦٧) الكهف: ٥٣.

(٦٨) البقرة: ٤.

(٦٩) انظر تفسير البغوي ١/٨٩، وتفسير القرطبي ١/٣٧٣ـ٣٧٦، واللباب ٢/٣٢، وتفسير القاسمي ٢/١١٩، و أضواء البيان ١/٧٥، والتحرير والتنوير١/٤٧٧ـ٤٨١.

الآية الثانية

قولـه تعـالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٧٠).

المعنى العام

يخبرُ تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان، ويقرّون بوحدانيته، وبما أنزل على محمد ﷺ مع ما هم يؤمنون به من الكتب المتقدمة، وأنهم خاشعون لله، خاضعون له بالطاعة، متذللون بين يديه، مستكينون له بها، غير مستكبرين. ومن تمام خشيتهم لله أنهم ﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ أي: لا يكتمون ما بأيديهم من العلم، لأجل الرئاسة وحظوظ النفس، كما فعلته الطائفة المرذولة منهم، بل آثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، فلم يكتموا ما بأيديهم من البشارات بمحمد ﷺ وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم، سواء كانوا هودًا أو نصارى، وقد قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (٧١)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (٧٢).

وقوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم لهم عوض أعمالهم التي عملوها، وثواب طاعتهم لربهم، فيما أطاعوه فيه، فيدخر ذلك سبحانه وتعالى عنده، حتى يصيروا إليه في القيامة، فيوفّيهم إياه، ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ فلا يستبطؤون ما وعدهم الله، بل هم على يقين أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا(٧٣).

الهدايات والدلالات

١- الإيمان بالله تعالى هو المطلب الذي من أجله أنزلت الكتب وأرسلت الرسل.

٢- من انقاد لشرع الله خضع لأمره، وتذلل بين يدي ربه جل وعلا.

---

(٧٠) آل عمران: ١٩٩.

(٧١) القصص: ٥٢-٥٤.

(٧٢) الإسراء: ١٠٧-١٠٩.

(٧٣) انظر تفسير الطبري ٢١٨/٤-٢٢٠، وتفسير البغوي ١٥٥/٢، و تفسير الخازن ٤٧١/١، وتفسير ابن كثير ٤٤٣/١، ٤٤٤، وفتح القدير ١ /٤١٤، وتفسير السعدي (١٦٢).

٣- الإيمان الحق مانع لصاحبه من التحريف لآيات الله، ولا يشتري بها ثمناً قليلاً، فلا يفعل كما فعل الأحبار والرهبان، لقاء أعراض الدنيا الرخيصة.

٤- من أهل الكتاب من سلك الطريق المستقيم، وانتهى إلى النهاية المحمودة، فآمن بالكتاب كله، ولم يفرق بين أحد من رسله.

٥- شرف مؤمني أهل الكتاب، وبشارة القرآن لهم بالجنة.

٦- المؤمن الحق من أهل الكتاب يؤتى أجره مضاعفاً، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾[٧٤].

٧- سرعة حسابه تعالى لخلقه، ونفوذ علمه لجميع الأشياء، فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الأجر، من غير حاجة إلى تأمل[٧٥].

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

إذا تأملنا هذه الآية نجد أن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ جملة مستأنفة سيقت لبيان أن أهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك، بل منهم من له مناقب جليلة. والتعبير بمن الموصولة في: ﴿لَمَن يُؤْمِنُ﴾ والإتيان بها مستقبلة وإن كان ذلك قد مضى دلالة على الاستمرار والدوام.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ قدم سبحانه ذكر إيمانهم بالقرآن على إيمانهم بما أنزل إليهم من الكتابين، مع أن الأمر بالعكس في الوجود، لأن القرآن مهيمن عليهما، فإن إيمانهم بهما إنما يعتبر بتبعية إيمانهم به، إذ لا عبرة بأحكامهما المنسوخة، وما لم ينسخ منها إنما يعتبر من حيث ثبوته في القرآن.

وقوله تعالى: ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ حال من فاعل يؤمن، والجمع باعتبار المعنى.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ تصريح بمخالفتهم للمحرفين، والجملة حال كما قبله، ونظمها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط، بل لتضمن ذلك لإظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته عليه الصلاة و السلام.

---

(٧٤) القصص: ٥٤.

(٧٥) انظر تفسير أبي السعود ١٣٦/٢، و حاشية الجمل على الجلالين ٣٥٠/١، وصفوة التفاسير ٢٥٣/١، ٢٥٤، وايسر التفاسير ٣٦٢/١.

وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارة إليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم الحميدة، وما فيه من معنى البعد، للدلالة على علو رتبتهم، وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة.

وقوله تعالى: { عِنْدَ رَبِّهِمْ } نصب على الحالية من: ﴿ أَجْرُهُمْ ﴾، والمراد به التشريف كالصفة.

والتعبير بالسرعة في: ﴿ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ كناية عن سرعة وصول الموعود به إليهم[٧٦].

الآية الثالثة

قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾[٧٧].

المعنى العام

يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾[٧٨] آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، أو لا تؤمنوا به، فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله، ولا ترككم الإيمان به يُنقص ذلك، وإن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين، كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرّون لأذقانهم سجدا بالأرض، تعظيما لله وتكريما له، وتأثراً به، وعلما منهم أنه من عند الله تعالى، وشكرًا على ما أنعم به عليهم، من جعله إياهم أهلا إن أدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه هذا الكتاب؛ ولهذا يقولون: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ أي: عما لا يليق بجلاله، مما نسبه إليه المشركون، وتعظيمًا وتوقيرًا له تعالى على قدرته التامة، لإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة، من بعثة محمد ﷺ ولهذا قالوا: ﴿ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ أي كائناً واقعاً.وقوله: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ أي: ويخرّ هؤلاء الذين أوتوا العلم إذا يُتْلَى عليهم القرآن على وجوههم يبكون، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعا لربهم وخضوعا لأمره وطاعته، واستكانة له، وإيمانًا وتصديقاً بكتابه ورسوله، فقلوبهم قد لانت لذكر الله، وعيونهم دمعت من خشيته، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[٧٩]. فقوله تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ جواب وتفسير لقوله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[٨٠،٨١].

---

(٧٦) انظر الدر المصون ٥٤٩/٣، وتفسير أبي السعود ١٣٦/٢، و حاشية الجمل على الجلالين ٣٥٠/١، وصفوة التفاسير ٢٥٤/١.

(٧٧) الإسراء: ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩.

(٧٨) الإسراء: ٩٠

(٧٩) محمد: ١٧.

(٨٠) مريم: ٥٨.

(٨١) انظر تفسير الطبري ١٨٠/١٥-١٨٢، وتفسير البغوي ١٣٦/٥، و تفسير الخازن ١٨٨/٤، ١٨٩، وتفسير ابن كثير ٦٨/٣، وفتح القدير ٢٦٤/٣، وتفسير السعدي (٤٦٨).

الهدايات والدلالات

١- من منهج القرآن التهديد والوعيد لمن يستحقه.

٢- إيمان المشركين بهذا القرآن لا يزيده كمالاً، وتكذيبهم له لا يورثه نقصاً.

٣- العلم الحق هو ما جاء من عند الله.

٤- ظهور أثر القرآن على العلماء الصالحين من أهل الكتاب، حيث خروا سجداً لله رب العالمين.

٥- المؤمن الحق ينزه الله تعالى عما لا يليق به.

٦- وعد الله كائن لا محالة.

٧- مشروعية الخضوع لله تعالى والتواضع له.

٨- الإخبار عن المؤمنين أنهم عندما يسمعون القرآن لا يسجدون فحسب بل يخرون يبكون، ويزيدهم سماع القرآن وتلاوته خشوعاً في قلوبهم، واطمئناناً في جوارحهم، لأنه الحق سمعوه من ربهم جل وعلا(٨٢).

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

إذا تأملنا في هذه الآيات نجد أنها استئناف خطاب للنبي ﷺ ليلقنه بما يقوله للمشركين الذين لم يؤمنوا بأن القرآن منزل من عند الله، وقوله تعالى: ﴿ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ ﴾ للتسوية بين إيمانهم وعدمه عند الله تعالى. وهو كناية عن الإعراض عنهم واحتقارهم وقلة المبالاة بهم، ويندمج فيه مع ذلك تسلية الرسول ﷺ.وجملة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ تعليل لمعنى التسوية بين إيمانهم به وعدمه. وموقع (إنّ) فيها موقع فاء التفريع، أي إنما كان إيمانكم بالقرآن وعدمه سواء لأنه مستغن عن إيمانكم به بإيمان الذين أوتوا العلم من قبل نزوله. فهم أرجح منكم أحلاما، وأفضل مقاما، وهم الذين أوتوا العلم، فإنهم يسمعونه ويؤمنون به، ويزيدهم إيمانا بما في كتبهم من الوعد بالرسول الذي أنزل هذا عليه.

وفي هذا تعريض بأن الذين أعرضوا عن الإيمان بالقرآن جهلة وأهل جاهلية.

وأصل اللام في﴿ لِلۡأَذۡقَانِ ﴾ أنها استعارة تبعية. استعير حرف الاختصاص لمعنى الاستعلاء، للدلالة على مزيد التمكن كتمكن الشيء بما هو مختص به.وذكر الذقن للدلالة على تمكينهم الوجوه كلها من الأرض من قوة الرغبة في السجود لما فيه من استحضار الخضوع لله تعالى.

---

(٨٢) انظر صفوة التفاسير ٢/١٧٩، وأيسر التفاسير ٢/٦٣٠.

وقوله تعالى: ﴿سُجَّدًا﴾ لبيان الغرض من هذا الخرور. وسجودهم سجود تعظيم لله عند مشاهدة آية من دلائل علمه، وصدق رسله، وتحقيق وعده. وعطفت ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ﴾ على ﴿يَخِرُّونَ﴾ للإشارة إلى أنهم يجمعون بين الفعل الدال على الخضوع والقول الدال على التنزيه والتعظيم. ونظيره قوله تعالى: ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [٨٣]. على أن في قولهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَآ﴾ دلالة على التعجب والبهجة من تحقق وعد الله في التوراة والإنجيل بمجيء الرسول الخاتم ﷺ. وجملة ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ من تمام مقولهم. وهو المقصود من القول، لأن تسبيحهم قبله تسبيح تعجب واعتبار بأنه الكتاب الموعود به وبرسوله في الكتب السابقة. وقوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ الخرور المحكي بالجملة الثانية هو الخرور الأول، فذكر مرتين اهتماما بما صحبه من علامات الخشوع. وذكر ﴿يَبْكُونَ﴾ بصيغة المضارع لاستحضار الحالة. والبكاء بكاء فرح وبهجة، فيزيدهم القرآن خشوعا على خشوعهم الذي كان لهم من سماع كتابهم[٨٤].

الآية الرابعة

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [٨٥].

المعنى العام

يبين تعالى حال الناس حينما يبعثون من قبورهم ويدعوهم الداعي إلى الحضور والاجتماع للموقف، فيستجيبون مسارعين إلى صوت داعي الله الذي دعاهم لموقف القيامة، فيحشرهم إليه فلا عوج لهم عنه ولا ميل ولا انحراف، فلا يزيغون عنه يمينا وشمالا، ولا يقدرون عليه، بل يتبعونه سراعا، فيؤمونه ويأتونه انتظاراً لحكم الرحمن فيهم.وهذا كما يقال في الكلام: دعاني فلان دعوة لا عوج لي عنها: أي لا أعوج عنها.

وقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: سكنت، وذلت، وخضعت أصوات الخلائق للرحمن من شدة الفزع، فوصف الأصوات بالخشوع، والمعنى لأهلها، حيث خضع جميعهم لربهم، فلا تسمع لناطق منهم منطقا إلا من أذن له الرحمن.

(٨٣) السجدة: ١٥.

(٨٤) انظر التحرير والتنوير ١٥/ ٢٣٢-٢٣٥.

(٨٥) طه: ١٠٨.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ يعني صوتاً خفياً، ووطء الأقدام. و"الهمس": أصله: الصوت الخفي، وهو تحريك الشفاه من غير نطق، كصوت أخفاف الإبل في المشي، يقال همس فلان إلى فلان بحديثه، إذا أسرّه إليه وأخفاه.[٨٦] والمراد: سعي الناس إلى المحشر، وهو مشيهم في سكون وخضوع. وأما الكلام الخفي فقد يكون في حال دون حال، حيث قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [٨٧، ٨٨].

الهدايات والدلالات

١ـ تقرير مبدأ البعث.

٢ـ المسارعة في إجابة داعي الله الذي يدعوهم لأرض المحشر، فلا يزيغون عنه، ولا ينحرفون.

٣ـ جلال الحي القيوم يغمر النفوس في ذلك الموقف فتذل وتسكن هيبةً للرحمن جل وعلا.

٤ـ من أثر هذه المهابة في نفوس الخلائق في ذلك اليوم أنه لا يسمع لأصواتهم إلا همسا[٨٩].

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

إذا تأملنا في هذه الآية نجد أن جملة: ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ في معنى المفرعة على جملة ﴿يَنسِفُهَا﴾ [٩٠]، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف متعلق بـ ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ ، وقدم الظرف على عامله للاهتمام بذلك اليوم، وليكون تقديمه قائما مقام العطف في الوصل، أي يتبعون الداعي يوم ينسف ربك الجبال، أي إذا نسفت الجبال نودوا للحشر فحضروا يتبعون الداعي لذلك.

والمصدر المنفي أريد منه نفي جنس العوج في اتباع الداعي، بحيث لا يسلكون غير الطريق القويم، أو لا يسلك بهم غير الطريق القويم، أو بحيث يعلمون براءة رسولهم من العوج. ويوجد بين قوله تعالى: {لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً}[٩١] وقوله تعالى: ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ مراعاة النظير، فكما جعل الله الأرض يومئذ غير معوجة ولا ناتئة كما قال: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [٩٢] كذلك جعل سير الناس عليها لا عوج فيه ولا مراوغة.

---

(٨٦) انظر الصحاح ٩٩١/٣، ومعجم مقاييس اللغة ٦٦/٦، مادة: همس.

(٨٧) هود: ١٠٥.

(٨٨) انظر تفسير الطبري ٢١٤/١٦، ٢١٥، وتفسير البغوي ٢٩٥/٥، و تفسير الخازن ٢٨٠/٤، ٢٨١، وتفسير ابن كثير ١٦٥/٣، ١٦٦، وفتح القدير ٣٨٧/٣، وتفسير السعدي (٥١٣).

(٨٩) انظر تفسير القرطبي ٢٤٦/١١، ٢٤٧، و صفوة التفاسير ٢٤٨/٢، وأيسر التفاسير ٧٨/٣.

(٩٠) طه: ١٠٥.

(٩١) طه: ١٠٧.

(٩٢) النازعات: ١٤.

والخشوع : الخضوع ، وفي كل شيء من الإنسان مظهر من الخشوع ؛ فمظهر الخشوع في الصوت : الإسرار به ، فلذلك فرع عليه قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾.

والخطاب بقوله تعالى : ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ خطاب لغير معين ، أي لا يرى الرائي ولا يسمع السامع.

وإسناد الخشوع إلى الأصوات مجاز عقلي ، فإن الخشوع لأصحاب الأصوات ؛ أو استعير الخشوع لانخفاض الصوت وإسراره ، وهذا الخشوع من هول المقام(٩٣).

الآية الخامسة

قوله تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (٩٤).

المعنى العام

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : واذكر يا محمد زكريا حين دعا ربه﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴾ وحيدا لا ولد لي ولا عقب ، فارزقني وارثا من آل يعقوب يرثني ، ثم ردّ الأمر إلى الله تعالى مثنيا عليه ، بأنه الباقي بعد فناء الخلق ، وأنه أفضل من بقي حيا ، فقال : ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾. فاستجاب الله تعالى لزكريا دعاءه ، ووهب له يحيى ولدا ووارثا يرثه ، وأصلح له زوجه ، فجعلها ولودا بعد ما كانت عقيما.ولما ذكر سبحانه هؤلاء الأنبياء والمرسلين ، كلا على انفراده ، أثنى عليهم عموما فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ أي : يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة ، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي ، ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها ، إلا انتهزوا الفرصة فيها ، ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ أي : يسألوننا الأمور المرغوب فيها ، من مصالح الدنيا والآخرة ، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها ، من مضار الدارين ، وهم راغبون راهبون ، لا غافلون لاهون ، ولا مدلون ، ﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ أي : خاضعين متذللين متضرعين ، وهذا لكمال معرفتهم بربهم.(٩٥)

وقال الخازن : [والمسارعة في الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء لأنها تدل على حرص عظيم في طاعة الله عز وجل ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ يعني إنهم ضموا إلى فعل الطاعات أمرين : أحدهما : الفزع إلى الله لمكان الرغبة

---

(٩٣) انظر التحرير والتنوير ١٦/٣٠٨-٣١٠.

(٩٤) الأنبياء : ٨٩ ، ٩٠.

(٩٥) انظر تفسير الطبري ١٧/ ٨٣ ، ٨٤ ، و تفسير البغوي٥ /٣٥٢ ، ٣٥٣ ، وفتح القدير ٤٢٥/٣ ، وتفسير السعدي (٥٣٠).

في ثوابه والرهبة من عقابه. والثاني: الخشوع وهو قوله تعالى ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ الخشوع هو الخوف اللازم للقلب، فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط في الأمور خوفاً من الوقوع في الإثم].[٩٦]

الهدايات والدلالات

١ـ من علامات الإيمان الإخلاص والتضرع لله عز وجل في الدعاء.

٢ـ تفرد الله سبحانه وتعالى بالبقاء.

٣ـ بيان قدرة الله تعالى على كل شيء.

٤ـ استحباب سؤال الولد لغرض صالح، لا من أجل الزينة واللهو به فقط.

٥ـ تقرير سرعة استجابة الله سبحانه وتعالى لمن سارع إليه في الخيرات.

٦ـ تقرير أن الزوجة الصالحة من حسنة الدنيا.

٧ـ فضيلة المسارعة في الخيرات، والدعاء برغبة ورهبة، والخشوع في العبادات وخاصة في الصلاة والدعاء.

٨ـ ظهور أثر العمل الصالح والتذلل لله سبحانه وتعالى في السر والعلن[٩٧].

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

إذا تأملنا في هذه الآيات نجد أن جملة: ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ مبينة لجملة: ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾. وأطلق الفرد على من لا ولد له، تشبيها له بالمنفرد الذي لا قرين له، قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾[٩٨]. وجملة: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ثناء لتمهيد الإجابة. وجملة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ واقعة موقع التعليل للجمل المتقدمة في الثناء على الأنبياء المذكورين، وما أوتوه من النصر، واستجابة الدعوات، والإنجاء من كيد الأعداء، وما تبع ذلك، ابتداء من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾[٩٩]، فضمائر الجمع عائدة إلى المذكورين، وحرف التأكيد مفيد معنى التعليل والتسبب، أي: ما استحقوا ما أوتوه إلا لمبادرتهم إلى مسالك الخير، وجدهم في تحصيلها. وأفاد فعل الكون ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟﴾ أن ذلك كان دأبهم وهجيراهم.والمسارعة: مستعارة للحرص وصرف الهمة للخيرات، أي لفعلها،

---

(٩٦) تفسير الخازن ٣٢١/٤.

(٩٧) انظر صفوة التفاسير ٢٧٣/٢، ٢٧٤، وأيسر التفاسير ١٢٨/٣.

(٩٨) مريم: ٩٥.

(٩٩) الأنبياء: ٤٨.

تشبيها للمداومة والاهتمام بمسارعة السائر الجاد في مسالكه إلى المكان المقصود. وكذلك ذِكْرُ فِعل الكون في: {وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} مثل ذكره في: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ﴾[(١٠٠)].

الآية السادسة

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[(١٠١)].

المعنى العام

هذا تنويه من الله تعالى بذكر عباده المؤمنين المصدقين، وذكر فوزهم وسعادتهم، وبأي شيء وصلوا إلى ذلك. وفي ضمن ذلك الحث على الاتصاف بصفاتهم، والترغيب فيها. فليزن العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، ليعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان، زيادة ونقصانا، كثرة وقلة. فقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: قد فاز وسعد وأدرك كل ما يرام المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، الذين من صفاتهم الكاملة أنهم: ﴿فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾. والخشوع في الصلاة: هو تذلل العبد وحضور قلبه بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه. فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، ويجمع همته، وتسكن جوارحه و حركاته، ويخفض بصره إلى موضع سجوده، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، معرضا عما سواها، فلا يلتفت الخاطر إلى شيء سوى ذلك التعظيم، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الرديئة، فيتواطأ بذلك القلب مع الجوارح، وهذا نهاية الخضوع والتذلل للمعبود، وهو روح الصلاة والمقصود منها. فحينئذ تكون راحة له وقُرَّة عين، كما كان عليه هدي النبي ﷺ، فعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: (حُبِّبَ إليَّ من الدنيا النساء والطِّيب، وجُعِل قرة عيني في الصلاة)[(١٠٢)]، وقال ﷺ: (يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها)[(١٠٣)]، فلنا في رسول الله ﷺأسوة حسنة[(١٠٤)].

الهدايات والدلالات

١ـ الوعد الصادق، بل القرار الأكيد بفلاح المؤمنين.

٢ـ حصول الفلاح للمؤمنين إنما كان بسبب إيمانهم وعملهم الصالح.

---

(١٠٠) انظر التحرير والتنوير ١٧/ ١٣٥ـ١٣٧.

(١٠١) المؤمنون: ١، ٢.

(١٠٢) أخرجه النسائي في سننه ٧/ ٦١، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء رقم الحديث (١)، وأحمد في مسنده ٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥، وقال الألباني في صحيح سنن النسائي ٣/ ٨٢٧، حسن صحيح، رقم الحديث (٣٦٨٠).

(١٠٣) أخرجه أبو داود في سننه ٥/ ٢٦٢، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم الحديث (٤٩٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٩٤١.

(١٠٤) انظر تفسير الطبري ١٨/ ١ــ٣، وتفسير البغوي ٥/ ٤٠٧، ٤٠٨، و تفسير الخازن ٥/ ٣٠ــ٣٢، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٧، ٢٣٨، وفتح القدير ٣/ ٤٧٣ـ٤٧٤، وتفسير السعدي (٥٤٧، ٥٤٨)

٣ـ بيان فلاح المؤمنين تحفيزاً لسلوك طريقهم.

٤ـ وجوب الخشوع في الصلاة.

٥ـ التذلل والخشوع في الصلاة لجلال الله تعالى وعظمته لاستيلاء مهابته على القلوب.

٦ـ الخشوع الحقيقي ما تواطأ فيه القلب مع الجوارح، فخشوع الجوارح تابع لخشوع القلب[١٠٥].

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

قوله تعالى: ﴿ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ إخبار بصيغة الماضي، لإفادة الثبوت والتحقق، كما أن﴿ قَدْ ﴾ لإفادة التحقيق أيضاً.

وإذا نظرنا إلى مطلع هذه السورة نجد أنه بدئ بافتتاح بديع، لأنه من جوامع الكلم، فإن الفلاح غاية كل ساع إلى عمله، فالإخبار بفلاح المؤمنين دون ذكر متعلق بفعل الفلاح يقتضي في المقام الخطابي تعميم ما به الفلاح المطلوب، فحذف المتعلق للإشارة إلى أنهم أفلحوا فلاحا كاملا، فكأنه قيل: قد أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه. ولما كانت همة المؤمنين منصرفة إلى تمكن الإيمان والعمل الصالح من نفوسهم، كان ذلك إعلاما بأنهم نجحوا فيما تعلقت به هممهم من خير الآخرة وللحق من خير الدنيا، ويتضمن بشارة برضى الله عنهم ووعداً بأن الله مكمل لهم ما يتطلبونه من خير. وأكد هذا الخبر بحرف قد الذي إذا دخل على الفعل الماضي أفاد التحقيق، أي التوكيد. فحرف قد في الجملة الفعلية يفيد مفاد إن واللام في الجملة الاسمية، أي يفيد توكيدا قويا، فهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل.ونيط الفلاح بوصف الإيمان للإشارة إلى أنه السبب الأعظم في الفلاح، فإن الإيمان وصف جامع للكمال لتفرع جميع الكمالات عليه، وخاصة إذا كان في حال الصلاة، لأن الخشوع لله يكون في حالة الصلاة وفي غيرها، إذ الخشوع محله القلب فليس من أفعال الصلاة ولكنه يتلبس به المصلي في حالة صلاته، وذكر مع الصلاة لأن الصلاة أولى الحالات بإثارة الخشوع وقوته، ولذلك قدمت، ولأنه بالصلاة أعلق، فإن الصلاة خشوع لله تعالى وخضوع له، ولأن الخشوع لما كان لله تعالى كان أولى الأحوال به حال الصلاة، لأن المصلي يناجي ربه فيشعر نفسه أنه بين يدي ربه فيخشع له. وهذا من آداب المعاملة مع الخالق تعالى، وهي رأس الآداب الشرعية، ومصدر الخيرات كلها.ولهذا الاعتبار قدم هذا الوصف على بقية أوصاف المؤمنين، وجعل مواليا للإيمان.وتقديم ﴿ فِي صَلَاتِهِمْ ﴾ على ﴿ خَٰشِعُونَ ﴾ للاهتمام بالصلاة، للإيذان بأن لهم تعلقا شديدا بالصلاة، لأن شأن الإضافة أن تفيد شدة الاتصال بين المضاف والمضاف إليه، لأنها على معنى لام الاختصاص. فلو قيل: الذين إذا صلوا خشعوا فات هذا المعنى، وأيضا لم يتأت وصفهم بكونهم خاشعين إلا بواسطة كلمة أخرى، نحو: كانوا خاشعين، وإلا يفت ما تدل عليه الجملة

---

(١٠٥) انظر تفسير القرطبي ١٠٣/١٢، ١٠٤، وصفوة التفاسير ٣٠٣/٢، وأيسر التفاسير ١٨٦/٣، وآيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية (١٤٨).

الاسمية من ثبات الخشوع لهم ودوامه، أي كون الخشوع خُلقا لهم، بخلاف نحو: الذين خشعوا، فحصل الإيجاز، ولم يفت الإعجاز.[١٠٦]

الآية السابعة

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[١٠٧].

المعنى العام

لما ذكر تعالى ثواب زوجات الرسول ﷺ، وعقابهن لو قدر عدم الامتثال وأنه ليس مثلهن أحد من النساء، ذكر بقية النساء غيرهن.ولما كان حكمهن والرجال واحدًا، جعل الحكم مشتركًا، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ وهذا في الشرائع الظاهرة، إذا كانوا قائمين بها.﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وهذا في الأمور الباطنة، من عقائد القلب وأعماله.﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ أي: المطيعين للّه ولرسوله.﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ في مقالهم وفعالهم.﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على ما أمر الله به، وعلى الشدائد والمصائب.﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ المتواضعين في جميع أحوالهم، خصوصًا في عباداتهم، وخصوصًا في صلواتهم.﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ بالإحسان إلى المحاويج ممّا رزقهم الله، فرضًا ونفلا.﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ شمل ذلك الفرض والنفل. ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة ناسب أن يذكر بعده: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ عمّا لا يحل من الزنا ومقدماته.﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم.﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾ أي: هيأ لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة، والمناقب الجليلة، التي هي ما بين اعتقادات، وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعد، وقاصر، وما بين أفعال الخير، وترك الشر، الذي من قام بهن، فقد قام بالدين كله، ظاهره وباطنه، بالإسلام والإيمان والإحسان. فجازاهم على أعمالهم هذه بِالْمَغْفِرَةِ لذنوبهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات، وجازاهم﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل اللّه أن يجعلنا منهم.[١٠٨]

---

(١٠٦) انظر تفسير البغوي ٥/٤٠٧، ٤٠٨، و التحرير والتنوير١٨/٧-١٠، وصفوة التفاسير ٢/٣٠٦.

(١٠٧) الأحزاب: ٣٥.

(١٠٨) انظر تفسير الطبري ٢٢/٩، ١٠، وتفسير البغوي ٦/٣٥١-٣٥٢، وتفسير ابن كثير ٣/٤٨٧-٤٨٩، وفتح القدير ٤/٢٨٢، وتفسير السعدي(٦٦٥).

الهدايات والدلالات

١ـ ثناء الله تعالى على من تمسك بأوامره، وتأدب بآدابه.

٢ـ هذه الصفات الكثيرة التي جمعت في هذه الآية تتعاون في تكوين النفس المسلمة، ولكل منها قيمته في بناء الشخصية المسلمة.

٣ـ الخشوع صفة القلب والجوارح، الدالة على تأثر القلب بجلال الله تعالى، واستشعار هيبته وتقواه.

٤ـ الصبر هو الصفة التي لا يستطيع المسلم حمل عقيدته والقيام بتكاليفها إلا بها.

٥ـ التصدق دلالة التطهر من شح النفس، والشعور برحمة الناس، والتكافل في المجتمع المسلم، والوفاء بحق المال، وشكر المنعم على العطاء.

٦ـ حرص الإسلام على حفظ الفروج عما لا يحل.

٧ـ ذكر الله كثيراً هو حلقة الاتصال بين المؤمن وعقيدته في الله، فهو في استشعار دائم لمراقبة الله تعالى، والخوف منه، والخضوع له، والتذلل بين يديه.

٨- بشرى المسلمين والمسلمات بمغفرة ذنوبهم، ودخول الجنة فإن اتصفوا بالصفات المذكورة في الآية.

٩- فضل الصفات المذكورة إذ كانت سبباً في دخول الجنة بعد مغفرة الذنوب.

١٠- تقرير مبدأ التساوي بين الرجال والنساء في العمل والجزاء، في العمل الذي كلف الله تعالى به النساء والرجال معاً، وأما ما خص به الرجال أو النساء فهو على خصوصيته، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل[(١٠٩)].

المعاني البلاغية

في الآية الإيجاز بالحذف في: ﴿وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ﴾ حيث حُذِفَ مفعولُه لتقدُّم ما يَدُلُّ عليه. والتقديرُ: والحافظاتِ فروجهن، وكذلك﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾، وحَسَّن الحذفَ رؤوسُ الفواصِلِ. وفيها تغَلَّيبَ الذكور، حيث جمع الإناث معهم، ثم أدرجهم في الضمير فقال: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾[(١١٠)]

(١٠٩) انظر صفوة التفاسير ٥٢٥/٢، وأيسر التفاسير ٥٦٤/٣.

(١١٠) انظر الدر المصون ١٢٤/٩، وحاشية الجمل ٤٣٧/٣، وصفوة التفاسير ٥٢٦/٢.

الآية الثامنة

قولــه تعــالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[(١١١)].

المعنى العام

يبين تعالى أن من حججه وأدلة قدرته على إحياء الموتى بعد بلاها ، وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أنك أيها العاقل﴿ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ يابسة هامدة لا نبات فيها ، بل هي ميتة ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ﴾ فإذا أنزلنا المطر على هذه الأرض الخاشعة ﴿ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ تحرّكت وارتفعت بالنبات. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا ﴾ فأخرج منها النبات ، وجعلها تهتزّ بالزرع بعد موتها وهمودها ﴿ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ﴾ لقادر أن يحيي أموات بني آدم من قبورهم. ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ إن الله على إحياء خلقه بعد مماتهم ، وعلى كل ما يشاء ذو قدرة لا يعجزه شيء أراده ، ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه.[(١١٢)] وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي :[وقد وصف الله تعالى في كتابه الأرضَ بالخشوع فقال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾[(١١٣)]، فاهتزازها وربُّوها ـ وهو ارتفاعها ـ مُزيلٌ لخشوعها ، فدَلَّ على أن الخشوع الذي كانت عليه هو سكونُها وانخفاضُها فكذلك القلب إذاً ، فإنه تسكُنُ خواطره وإرادته الرديئةُ التي تنشأ من اتِّباع الهوى وينكسرُ وينخضِعُ لله ، فيزول بذلك ما كان فيه من التعاظم والترفع والتكبر ، ومتى سكن ذلك في القلب خشعتِ الأعضاءُ والجوارحُ والحركاتُ كلُّها حتى الصَّوتُ ، وقد وصف الله تعالى الأصواتَ بالخشوع في قوله تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾[(١١٤)]، فخشوع الأصوات هو سكونها وانخفاضُها بعد ارتفاعها][(١١٥)].

الهدايات والدلالات

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر دليل من أظهر الأدلة ، وهو موت الأرض بالجدب ، ثم حياتها بالغيث.

٢- تقرير قدرة الله على كل شيء أراده ، وهذه الصفة خاصة به تعالى موجبة لعبادته وطاعته ، بعد الإيمان به وتأليهه.

٣ - ضرب الأمثال من البيئة المحيطة بالمخاطب له أثره بالاستجابة والقبول[(١١٦)].

---

(١١١) فصلت : ٣٩.

(١١٢) انظر تفسير الطبري ١٢٢/٢٤ ، وتفسير ابن كثير ١٠٢/٤ ، وتفسير البغوي ١٧٥/٧ ، وفتح القدير ٥١٨/٤ ، وتفسير السعدي (٧٥٠).

(١١٣) فصلت : ٣٩.

(١١٤) طه : ١٠٨.

(١١٥) الخشوع في الصلاة (١٣).

(١١٦) انظر أيسر التفاسير ١٢٢/٤ ، وآيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية (١٦٨).

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

قال ابن عاشور :[الخطاب في قوله تعالى : ﴿ أَنَّكَ ﴾ لغير معين ليصلح لكل سامع.والخشوع : التذلل ، وهو مستعار لحال الأرض إذا كانت مقحطة لا نبات عليها لأن حالها في تلك الخصاصة كحال المتذلل ، وهذا من تشبيه المحسوس بالمعقول باعتبار ما يتخيله الناس من مشابهة اختلاف حالي القحولة والخصب بحالي التذلل والازدهاء. والاهتزاز حقيقته : مطاوعة هزه ، إذا حركه بعد سكونه فتحرك. وهو هنا مستعار لربو وجه الأرض بالنبات ، شبه حال إنباتها وارتفاعها بالماء والنبات بعد أن كانت منخفضة خامدة بالاهتزاز.ويؤخذ من مجموع ذلك أن هذا التركيب تمثيل ، شبه حال قحولة الأرض ثم إنزال الماء عليها وانقلابها من الجدوبة إلى الخصب والإنبات البهيج بحال شخص كان كاسف البال رث اللباس فأصابه شيء من الغنى فلبس الزينة واختال في مشيته زهوا ، ولذا يقال : هز عطفيه ، إذا اختال في مشيته.

وفي قوله تعالى : ﴿ خَٰشِعَةً ﴾ و ﴿ ٱهْتَزَّتْ ﴾ مكنية بأن شبهت بشخص كان ذليلا ثم صار مهتزا لعطفيه ، ورمز إلى المشبه بهما بذكر رديفيهما. فهذا من أحسن التمثيل وهو الذي يقبل تفريق أجزائه في أجزاء التشبيه. وعطف ﴿ وَرَبَتْ ﴾ على ﴿ ٱهْتَزَّتْ ﴾ لأن المقصود من الاهتزاز هو ظهور النبات عليها وتحركه. والمقصود بالربو : انتفاخها بالماء واعتلاؤها. {إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} إدماج لإثبات البعث في أثناء الاستدلال على تفرده تعالى بالخلق والتدبير ، ووقوعه على عادة القرآن في التفنن وانتهاز فرص الهدى إلى الحق.والجملة استئناف ابتدائي والمناسبة مشابهة الإحياءين ، وحرف التوكيد لمراعاة إنكار المخاطبين إحياء الموتى. وتعريف المسند إليه بالموصولية لما في الموصول من تعليل الخبر ، وشبه إمداد الأرض بماء المطر الذي هو سبب انبثاق البذور التي في باطنها التي تصير نباتا بإحياء الميت ، فأطلق على ذلك ﴿ أَحْيَاهَا ﴾ على طريق الاستعارة التبعية ، ثم ارتقى من ذلك إلى جعل ذلك الذي سمي إحياء لأنه شبيه الإحياء دليلا على إمكان إحياء الموتى بطريقة قياس الشبه ، وهو المسمى في المنطق قياس التمثيل بحجة قطعية ، بل هو إقناعي ولكنه هنا يصير حجة لأن المقيس عليه وإن كان أضعف من المقيس إذ المشبه لا يبلغ قوة المشبه به ، فالمشبه به حيث كان لا يقدر على فعله إلا الخالق الذي اتصف بالقدرة التامة لذاته فقد تساوى فيه قويه وضعيفه ، وهم كانوا يحيلون إحياء الأموات استنادا للاستبعاد العادي ، فلما نظر إحياء الأموات بإحياء الأرض المشبه تم الدليل الاقناعي المناسب لشبهتهم الإقناعية. وقد أشار إلى هذا تذييله بقوله ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[(١١٧)].

---

(١١٧) التحرير والتنوير ٣٠٢/٢٤، ٣٠٣، وانظر حاشية الجمل على الجلالين ٤٤/٤ ، وصفوة التفاسير١٢٤/٣ ، ١٣٠.

الآية التاسعة

قوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾[١١٨].

المعنى العام

أي: وترى الظالمين يعرضون على النار خاضعة أجسامهم للذل الذي في قلوبهم، فقد اعتراهم الذل بما أسلفوا من العصيان، وأذلهم الخوف الذي نزل بهم وخشعوا له، وأنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل، ووصفه الله جلّ ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم، حتى كادت أعينهم أن تغور، فتذهب. فهم ينظرون إليها مُسَارقَة خوفا منها، والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة، وما هو أعظم مما في نفوسهم، أجارنا الله من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ أي: يقولون يوم القيامة حيث ظهرت عواقب الخلق، وتبين أهل الصدق من غيرهم ﴿ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ أي: الخسار الأكبر﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ أي: خسروا أنفسهم بأن صاروا إلى النار، فعدموا لذتهم في دار الأبد، وفرق بينهم وبين أهليهم و أصحابهم وأحبابهم وقراباتهم، فخسروهم.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ أي: ألا إن الكافرين يوم القيامة في عذاب لهم من الله مقيم عليهم، ثابت لا يزول عنهم، فهو دائم سرمدي أبدي، لا خروج لهم من النار، ولا محيد لهم عنها.[١١٩]

الهدايات والدلالات

١ـ مخاطبة العاقل بما يتعظ به، فالسعيد من وعظ بغيره[١٢٠].

٢ـ بيان نهاية الظالمين يوم القيامة، فهم متضائلون صاغرون مما يلحقهم من الذل والهوان.

٣ـ الإخبار عن خشوع الكفار يوم القيامة، وأنه ليس من التقوى ولا من الحياء، لكنه من الذل والهوان.

٤ـ مسارقة النظر من الكافرين يوم القيامة بسبب شدة خوفهم وفزعهم من النار.

٥ـ لا أعظم خسرانا ممن يخلد في النار ويحرم الجنة وما فيها من نعيم مقيم.

٦ـ دوام عذاب الله تعالى يوم القيامة، وعدم انقطاعه[١٢١].

---

(١١٨) الشورى: ٤٥.

(١١٩) انظر تفسير الطبري ٤٢/٢٥، ٤١، وتفسير البغوي ١٩٩/٧، وتفسير الخازن ١٢٨/٦، وتفسير ابن كثير ١٢٠/٤، وفتح القدير ٥٣٣/٤، ٥٤٤، وتفسير السعدي (٧٦١).

(١٢٠) مثل هذا يقال في الآيات اللاحقة التي تبين ذلة الكافرين وهوانهم يوم القيامة، كما يدل عليه مفهوم الآيات.

(١٢١) انظر صفوة التفاسير ١٤٤/٣، ١٤٥، وأيسر التفاسير ١٥٥/٤.

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

إذا تأملنا في هذه الآية نجد أنه تكرر هنا فعل: ترى، وقد ورد في الآية السابقة: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ (١٢٢) للاهتمام بهذه الرؤية وتهويلها. وبني فعل ﴿يُعْرَضُونَ﴾ للمجهول لأن المقصود حصول الفعل لا تعيين فاعله. والذين يَعرِضون الكافرين على النار هم الملائكة كما دلت عليه آيات أخر. وانتصب ﴿خَٰشِعِينَ﴾ على الحال من ضمير الغيبة في ﴿تَرَىٰهُمْ﴾ لأنها رؤية بصرية.

والخشوع مثل الخضوع، إلا أن الخضوع لا يسند إلا إلى البدن، فيقال: خضع فلان، ولا يقال: خضع بصره إلا على وجه الاستعارة، كما في قوله تعالى ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ (١٢٣)، وأما الخشوع فيسند إلى البدن كقوله تعالى ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ (١٢٤)، ويسند إلى بعض أعضاء البدن كقوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ (١٢٥)، وقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٢٦)، والمراد بالخشوع في هذه الآية: ما يبدو عليهم من أثر المذلة والمخافة. فقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ متعلق بـ﴿خَٰشِعِينَ﴾ وتعلقه به يغني عن تعليقه بـ ﴿يَنظُرُونَ﴾ ويفيد ما لا يفيده تعليقه به.و ﴿مِنَ﴾ للتعليل، أي خاشعين خشوعا ناشئا عن الذل، أي ليس خشوعهم لتعظيم الله والاعتراف له بالعبودية، لأن ذلك الاعتقاد لم يكن من شأنهم في الدنيا. وجملة ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ في موضع الحال من ضمير﴿خَٰشِعِينَ﴾ لأن النظر من طرف خفي حالة للخاشع الذليل، والمقصود من ذكرها تصوير حالتهم الفظيعة.

و ﴿مِنَ﴾ في قوله ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ للابتداء المجازي. والمعنى: ينظرون نظرا منبعثا من حركة الجفن الخفية. وحذف مفعول ﴿يَنظُرُونَ﴾ للتعميم أي ينظرون العذاب، وينظرون أهوال الحشر، وينظرون نعيم المؤمنين من طرف خفي.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾، يترجح أن الواو للحال لا للعطف، والجملة حال من ضمير الغيبة في﴿تَرَىٰهُمْ﴾، أي تراهم في حال الفظاعة

---

(١٢٢) الشورى: ٤٤.

(١٢٣) الأحزاب: ٣٢.

(١٢٤) آل عمران: ١٩٩.

(١٢٥) القمر: ٧.

(١٢٦) طه: ١٠٨.

الملتبسين بها، وتراهم في حال سماع الكلام الذام لهم الصادر من المؤمنين إليهم في ذلك المشهد. وحذفت: قد مع الفعل الماضي: ﴿خَسِرُوٓاْ﴾ لظهور قرينة الحال.

قوله تعالى: ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ المقيم: الذي لا يرتحل. ووصف به العذاب على وجه الاستعارة، شبه المستمر الدائم بالذي اتخذ دار إقامة لا يبرحها، تشنيعا عليهم، وتنفيرا من سلوك طريقهم.(١٢٧)

الآية العاشرة

قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾(١٢٨).

المعنى العام

يخبر تعالى عن حال الكافرين يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: ذليلة خاشعة خاضعة أَبْصَارُهُمْ عند رؤية العذاب، فهي لا ضرر بها، بل من الهول والفزع الذي وصل إلى قلوبهم، فخشعت لذلك أبصارهم.{ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ } أي: القبور﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ أي: مبثوث في الأرض، متكاثر جدا، فكأنهم في كثرتهم، وموج بعضهم في بعض، وانتشارهم، وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب جراد مُنْبَثّ في الآفاق.(١٢٩)

الهدايات والدلالات

١ـ التنديد باتباع الهوى، والتحذير منه فإنه مهلك.

٢ـ بيان بعض أهوال القيامة وشدائدها، بأسلوب مخيف يهز المشاعر، ويحرك في النفس الرعب والفزع من هول ذلك اليوم العصيب، لأخذ العبرة والعظة.

٣ـ تصوير حال الكافرين يوم القيامة.

٤ـ ذلة أبصار الكافرين ذلك اليوم ليس من خشية الله تعالى، وإنما من شدة الذل والهوان.

٥ـ سيطرة الحيرة والخوف على الكافرين يوم القيامة، فلا يدرون أين يتجهون، فهم كالجراد لا جهة له يقصدها(١٣٠).

---

(١٢٧) انظر حاشية الجمل على الجلالين ٧١/٤، والتحرير والتنوير ١٢٥/٢٥ـ١٣٠.

(١٢٨) القمر: ٧.

(١٢٩) انظر تفسير الطبري ٨٩/٢٧، ٩٠، وتفسير البغوي ٤٢٧/٧، ٤٢٨، و تفسير الخازن ٢٧٤/٦، وتفسير ابن كثير ٢٦٣/٤، وفتح القدير٥ /١٧٣، وتفسير السعدي (٨٢٤).

(١٣٠) انظر تفسير القرطبي ١٢٩/١٧، ١٣٠، وحاشية الجمل على الجلالين ٢٤٢/٤، وصفوة التفاسير ٢٨٤/٣، ٢٨٢ـ٢٨٥، وأيسر التفاسير ٣٥٩/٤.

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ حال من فاعل: ﴿ يَخْرُجُونَ ﴾ ، وقدم الحال لتصرف العامل والاهتمام، أي: يخرجون من الأجداث أذلة أبصارهم من شدة الهول. وإنما خصّ جلّ ثناؤه أبصارهم فوصفها بالخشوع دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، فهم ينظرون من طرف ذليل خفي لا تثبت أحداقهم في وجوه الناس، وهي نظرة الخائف المفتضح.

والذي يفيده التعبير عن الكافرين بقوله تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ أنها في ذلك الموقف ساكنة على حال لا ينقلب يمنةً ويسرةً، كما في قوله تعالى: ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ (١٣١)، وهو كنايةٌ عن الذلة والهوان، لأن ذلة الذليل، وعزة العزيز، تظهران في عيونهما.

والتشبيه بالجراد في قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ} للدلالة على الكثرة والتموج والاختلاط، والانتشار في الأمكنة، فالجراد مثلٌ في الكثرة، فأراد سبحانه وتعالى تشبيههم بالجراد المنتشر في الاكتظاظ واستتار بعضهم ببعض من شدة الخوف، زيادة على ما يفيده التشبيه من الكثرة والتحرك.وذِكر المنتشر مع لفظ الجراد، نظيره قوله تعالى: ﴿ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ (١٣٢، ١٣٣).

الآية الحادية عشرة

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (١٣٤).

المعنى العام

لما ذكر سبحانه حال المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات في الدار الآخرة، كان ذلك مما يدعو القلوب إلى الخشوع لربها، والاستكانة لعظمته، فعاتب الله المؤمنين على عدم ذلك، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾: ألم يحن للمؤمنين أن تخضع قلوبهم لذكر الله، ولما نزل من الحقّ، وهو هذا القرآن الذي نزله سبحانه على رسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فتلين هذه القلوب المطمئنة عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه وتنقادُ له وتسمع له وتطيعه. وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر

(١٣١) إبراهيم: ٤٣.

(١٣٢) القارعة ٤.

(١٣٣) انظر تفسير أبي السعود ١٦٨/٨، وروح المعاني ٨٠/٢٧، وتفسير القاسمي ٥٥٩٧/١٥، والتحرير والتنوير ١٧٧/٢٧، ١٧٨، و المقتطف من عيون التفاسير ١٣٤/٥.

(١٣٤) الحديد: ١٦.

المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم على ذلك ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ يعني من بني إسرائيل، ويعني بالكتاب: التوراة والإنجيل.

ويعني بقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ الزمان الذي بينهم وبين أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام. وفي هذا نهي للمؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن متشبهين بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنًا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ عن الخيرات، واشتدّت على السكون إلى معاصي الله، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ أي: في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة. كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾.[١٣٥، ١٣٦]

الهدايات والدلالات

١ـ التحذير من الغفلة ونسيان ذكر الله تعالى، وما عنده من نعيم، وما لديه من نكال وعذاب.

٢- التذكير للمؤمنين بالحرص على المسارعة إلى طاعة الله، بالامتثال لأوامره، واجتناب نواهيه، مع النهي عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب.

٣ـ ليس وراء قسوة القلوب إلا الفسق والخروج عن طاعة الله تعالى.

٤ـ لا مانع من عتاب الود إذا كان فيه تحفيز على الانقياد لأمر الله والعمل بشرعه.

٥ـ القلب البشري سريع التقلب، فإذا طال عليه الأمد بلا تذكير ولا تذكر تبلد وقساً.

٦ـ لا يأس من قلب خمد وأعرض وقسا وتبلد، فإنه يمكن أن تدب فيه الحياة، وأن يخشع لذكر الله، فالله تعالى يحيي الأرض بعد موتها[١٣٧].

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

الآية استئناف ناع على المؤمنين تثاقلهم في أمور الدين، ورخاوة عقدهم فيها ، واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا إليه بالترغيب والترهيب. والتعبير بالعموم يراد به طائفة من المؤمنين، لأن منهم من لم يزل خاشعاً منذ أسلم إلى أن قضى نحبه.

---

(١٣٥) المائدة: ١٣.

(١٣٦) انظر تفسير الطبري ٢٢٨/٢٧، ٢٢٩، وتفسير البغوي ٣٧/٨، ٣٨، و تفسير الخازن ٣٤/٧، ٣٥، وتفسير ابن كثير ٣١٠/٤، ٣١١، وتفسير أبو السعود، ٢٠٨/٨، ٢٠٩، وفتح القدير ٢٤٥/٥، ٢٤٦، وتفسير السعدي (٨٤٠).

(١٣٧) انظر تفسير ابن كثير ٣١٠/٤، والمقتطف من عيون التفاسير ١٩٣/٥، وصفوة التفاسير ٣٢٦/٣، وأيسر التفاسير ٤١٤/٤.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ عطف على: ﴿ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ والمراد بهما معاً القرآن، فالعطف لتغاير العنوانين، فإنه ذكر وموعظة، كما أنه حق نازل من السماء [١٣٨].

الآية الثانية عشرة

قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [١٣٩].

المعنى العام

لما بين تعالى لعباده ما بين، وأمرهم ونهاهم في كتابه العزيز، كان هذا موجبا لأن يبادروا إلى ما دعاهم إليه وحثهم عليه، ولو كانوا في القسوة وصلابة القلوب كالجبال الرواسي، فإن هذا القرآن لو أنزله على جبل، وهو حجر أصم، لرأيته على قساوته خاشعا متذللا متصدعا من خشية الله، حذرًا من أن لا يؤدّي حقّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، لكمال تأثيره في القلوب، فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيه محتوية على الحكم والمصالح المقرونة بها، وهي من أسهل شيء على النفوس، وأيسرها على الأبدان، خالية من التكلف، لا تناقض فيها ولا اختلاف، ولا صعوبة فيها ولا تعسف، تصلح لكل زمان ومكان، وتليق لكل أحد. وإذا كان هذا القرآن أنزل على بني آدم ويوجد منهم من هو بحقه مستخفٌّ، وعنه عما فيه من العِبَر والذكر مُعْرض كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقرًا، ففي هذه الآية تعريض لهم أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع، تعظيمًا لأمره، وبيانا لعلو قدره، فهو الحقيق الذي يجب أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه، لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد. فلا تكن هذه الجبال الصلبة خيرا منكم في تعظيم هذا القرآن، فإنها لو سمعت كلام الله وفهمته، لخشعت وتصدعت من خشيته ومخافته عز وجل، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟ قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [١٤٠].

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ إخبار من الله تعالى أنه يضرب للناس الأمثال، ويوضح لعباده في كتابه الحلال والحرام، لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها، فإن التفكر فيها يفتح لهم خزائن العلم، ويبين لهم طرق الخير والشر، ويحثهم على مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، ويزجرهم عن مساوئ الأخلاق، فينيبوا له تعالى، وينقادوا للحق.

---

(١٣٨) انظر تفسير أبي السعود ٢٠٨/٨، وروح المعاني ١٧٩/٢٧، ١٨٠، وتفسير القاسمي ٥٦٨٥/١٦.

(١٣٩) الحشر: ٢١.

(١٤٠) البقرة: ٧٤.

فلا أنفع للعبد من التفكر في القرآن والتدبر لمعانيه.[١٤١]

الهدايات والدلالات

١ـ بيان عظمة القرآن، ودناءة حال الإنسان الذي لا يتأثر بالقرآن.

٢ـ بيان ما حواه القرآن من العظات والعبر، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، الأمر الذي لو أن جبلاً رُكِّب فيه الإدراك والتمييز كالإنسان، ونَزَل عليه القرآن لخشع وتصدع من خشية الله تعالى.

٣ـ الحث على تأمل مواعظ القرآن، وأنه لا عذر لأحد في ترك التدبر، وتوبيخ من لم يتخشع عند تلاوة القرآن أو استماعه.

٤ـ استحسان ضرب الأمثال للتنبيه والتعليم والإرشاد، فالآية فيها تصوير لعظمة قدر القرآن، وقوة تأثيره[١٤٢].

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

إذا تأملنا في هذه الآية نجد أن الله تعالى ذكر اسم الإشارة القريب: ﴿هَٰذَا﴾ للتعريض لهم بأن القرآن غير بعيد عنهم، وأنه في متناولهم، ولا كلفة عليهم في تدبره، ولكنهم قصدوا الإعراض عنه. وهذا مثل ساقه الله تعالى كما دل عليه قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وقد ضرب هذا مثلا لقسوة قلوب الذين نسوا الله، وانتفى تأثرهم بقوارع القرآن.

والمراد بالجبل: حقيقته، لأن الكلام فرض وتقدير، كما هو مقتضى ﴿لَوْ﴾ أن تجيء في الشروط المفروضة. فالجبل: مثال لأشد الأشياء صلابة، وقلة تأثره بما يقرعه، وهذا تمثيل وتخييل، لعلو شأن القرآن الكريم، وقوة تأثير ما فيه من المواعظ.

وإنزال القرآن مستعار للخطاب به، عبر عنه بالإنزال على طريقة التبعية، تشبيها لشرف الشيء بعلو المكان، ولإبلاغه للغير بإنزال الشيء من علو. وضرب التصدع مثلا لشدة الانفعال والتأثر، لأن منتهى تأثر الأجسام الصلبة أن تنشق وتتصدع، إذ لا يحصل ذلك لها بسهولة. والخطاب في ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ﴾ لغير معين، فيعم كل من يسمع هذا الكلام، والرؤية بصرية. وجملة ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ تذييل لأن ما قبلها سيق مساق المثل، فذيل بأن الأمثال التي يضربها الله في كلامه مثل المثل، أراد منها أن يتفكروا بها، فإن لم يتفكروا بها فقد سجل عليهم

---

(١٤١) انظر تفسير الطبري ٥٣/٢٨، ٥٤، وتفسير البغوي ٨٧/٨، وتفسير الخازن٧١/٧، وتفسير ابن كثير٣٤٢/٤، ٣٤٣، وفتح القدير ٢٩٤/٥، وتفسير السعدي (٨٥٣، ٨٥٤).

(١٤٢) انظر تفسير القرطبي ٤٤/١٨، وتفسير أبي السعود ٢٣٣/٨، و المقتطف من عيون التفاسير ٢٢٦/٥، وصفوة التفاسير ٣٥٥/٣، ٣٥٦، وأيسر التفاسير ٤٥٥/٤.

عنادهم ومكابرتهم، فالإشارة ب ﴿ تِلْكَ ﴾ إلى مجموع ما مر على أسماعهم من الأمثال الكثيرة، وتقدير الكلام: ضربنا هذا مثلا، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾.

والغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم.(١٤٣)

الآية الثالثة عشرة

قوله تعالى: ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾ (١٤٤).

المعنى العام

قوله تعالى: ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أي: هم الكفار تغشاهم ذلة من عذاب الله يوم القيامة، بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه.

﴿ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾ أي: لّما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، فاليوم يدعوهم فلا يَسْتَطِيعُونَ.(١٤٥)

الهدايات والدلالات

١ـ بيان عظم هول يوم القيامة.

٢- ظهور الذلة والصغار على الكافرين والمنافقين يوم القيامة.

٣ـ الكافر والمنافق لا يستطيع السجود عندما يدعى إليه يوم القيامة، عقوبة له وفضيحة، إذ كان في الدنيا يدعى إليه فلا يسجد ولا يصلي تكبراً وكفراً.

٤ـ الكفار والمنافقون لايدعون إلى السجود في ذلك الموقف تعبداً وتكليفاً، ولكن توبيخاً وتعنيفاً على تركهم السجود في الدنيا.

٥- الله تعالى يسلب عن هؤلآء الكفار والمنافقين القدرة على السجود، ويحول بينهم وبين الاستطاعة، حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا فيه، حين دعوا إليه في الدنيا وهم سالموا الأطراف والمفاصل.

٦ـ في الآية وعيد وتهديد لمن أعرض عن شرع الله تعالى (١٤٦).

---

(١٤٣) انظر تفسير الخازن ٧١/٧، وتفسير أبي السعود ٢٣٣/٨، و التحرير والتنوير ١١٥/٢٨ـ١١٧، والمقتطف من عيون التفاسير ٢٢٦/٥.

(١٤٤) القلم: ٤٣.

(١٤٥) انظر تفسير الطبري ٤٢/٢٩، ٤٣، وتفسير البغوي ٢٠٠/٨، و تفسير الخازن ١٤٠/٧، وتفسير ابن كثير ٤٠٨/٤، وفتح القدير ٣٩١/٥، ٣٩٢، وتفسير السعدي (٨٨١).

(١٤٦) انظر التفسير الكبير ٨٥/٣٠، والمقتطف من عيون التفاسير ٣٠٣/٥، وصفوة التفاسير٤٣٠/٣، وأيسر التفاسير٥٣٧/٤.

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

إذا تأملنا في هذه الآية نجد أن قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ إدماجا لذكر بعض ما يحصل من أحوال ذلك اليوم. ونسبة الخشوع والذل للأبصار كنايةٌ عن الذلة والهوان، لأن ما في القلب يعرف في العين. واستعير وصف الخشوع للأبصار، لأن الخاشع يكون مطأطئا مختفيا. وجملة ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۖ﴾ حال ثانية من ضمير ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ (١٤٧).

وجملة: ﴿وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ معترضة بين ما قبلها وما تفرع عنها، أي كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود لله وحده، وهم سالمون من مثل الحالة التي هم عليها في يوم الحشر. والواو للحال وللاعتراض، وجملة ﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ حال من ضمير ﴿يُدۡعَوۡنَ﴾، أي وهم قادرون لا علة تعوقهم في أجسادهم.(١٤٨)

الآية الرابعة عشرة

قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ﴾ (١٤٩).

المعنى العام

قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ أي: خاضعة أبصارهم ذليلة، لما ملك قلوبهم من القلق والخزي والهوان ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌ﴾ أي: تغشاهم ذلة وهوان، في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة، فخشعت منهم الأبصار، وسكنت منهم الحركات، وانقطعت الأصوات.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ أي: هذا اليوم الذي وصفت صفته، هو يوم القيامة، الذي كان كفار قريش يوعدونَ في الدنيا أنهم ملا قوه في الآخرة، ولا بد من الوفاء بوعد الله. ففي ذلك اليوم المشهود يبلغ العذاب منهم مبلغه، ويَهُون فيه شأنهم، ويظهر خوفهم، ويتبين فزعهم(١٥٠).

الهدايات والدلالات

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- بيان ذلة الكافرين ومهانتهم يوم القيامة.

٣- تحقق وعيد الله عز وجل في الدنيا بعقاب الكافرين يوم القيامة(١٥١).

---

(١٤٧) القلم: ٤٢.

(١٤٨) انظر حاشية الجمل على الجلالين ٤/٣٩٠، و التحرير والتنوير٢٩/٩٩.

(١٤٩) المعارج: ٤٤.

(١٥٠) انظر تفسير الطبري ٢٩/٩٠، وتفسير البغوي ٨/٢٢٦، و تفسير الخازن ٧/١٥٣، وتفسير ابن كثير ٤/٤٢٤، وفتح القدير ٥/٤٢٠، وتفسير السعدي (٨٨٨).

(١٥١) انظر المقتطف من عيون التفاسير ٥/٣٢٨، وصفوة التفاسير ٣/٤٤٧، وأيسر التفاسير ٤/ ٥٥٥.

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

إذا تأملنا في هذه الآية نجد أن قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ وصف للأبصار بالخشوع، مع أنه وصف للكل، لغاية ظهور آثاره فيها. وخشوع الأبصار هنا استعارة للنظر إلى أسفل من الذل، كما قال تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيٍّ﴾ [١٥٢]، وقال: ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [١٥٣]. وذكر الخبر: ﴿خَٰشِعَةً﴾ بلفظ الماضي لأن ما وعد الله به يكون ولا محالة. وقوله تعالى: ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌ﴾ الرهق: الغشيان[١٥٤]، والتعبير به هنا استعارة، لأن الذلة لا تغشى.

وجملة ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ رجوع لما تضمنته السورة في أول أغراضها من قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[١٥٥]، وهي مفيدة مع ذلك تأكيد جملة: {حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ}، وفيها محسن رد العجز على الصدر[١٥٦].

الآية الخامسة عشرة

قوله تعالى: ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾. [١٥٧]

المعنى العام

قوله تعالى: ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾ أي: قلوب الكفار في ذلك اليوم خائفة وجلةٌ مضطربة.

وقوله تعالى: ﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾ أي: أبصار أصحابها ذليلة، مما قد علاهم من الكآبة والحزن، وملك قلوبهم من الخوف والرعب، وأذهل أفئدتهم من الفزع والقلق، وغلب عليهم من التأسف والحزن، واستولى عليهم من الحسرة والندم، في هول ذلك اليوم، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ﴾. [١٥٨، ١٥٩]

---

(١٥٢) الشورى: ٤٥.

(١٥٣) القمر: ٧.

(١٥٤) انظر معجم مقاييس اللغة ٤٥١/٢، و مفردات ألفاظ القرآن: ٣٦٧.

(١٥٥) المعارج: ١-٤.

(١٥٦) انظر تفسير القرطبي ٢٩٧/٢٨، و تفسير أبي السعود ٣٥/٩، و التحرير والتنوير ١٨٤/٢٩.

(١٥٧) النازعات: ٨، ٩.

(١٥٨) الشورى: ٤٥.

(١٥٩) انظر تفسير الطبري ٣٣/٣٠، وتفسير البغوي ٣٢٧/٨، و تفسير الخازن ٢٠٦/٧، وتفسير ابن كثير ٤٦٧/٤، وفتح القدير ٥٣٢/٥، ٥٣٣، وتفسير السعدي (٩٠٨).

الهدايات والدلالات

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ بيان عظم هول يوم القيامة.

٣ـ تصوير حال الكافرين يوم القيامة، بما يظهر من ذلتهم وشدة اضطرابهم وخوفهم.

٤ـ ذلة أبصار الكافرين ذلك اليوم ليس من خشية الله تعالى، وإنما من شدة الذل والهوان[١٦٠].

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

وإذا تأملنا في هذه الآية نجد أن جملة: ﴿ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴾ خبر ثان عن: ﴿ قُلُوبٌ ﴾، وقد زاد المراد من الوجيف بيانا قوله: ﴿ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴾، أي أبصار أصحاب القلوب، وإضافة {أبصار} إلى ضمير القلوب للملابسة، لأن الأبصار لأصحاب القلوب، وكلاهما من جوارح الأجساد، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾[١٦١].

والخشوع حقيقته: الخضوع والتذلل، وهو هيئة للإنسان، ووصَفُ الأبصار به هنا مجاز في الانخفاض، والنظر من طرف خفي، من شدة الهلع والخوف من فظيع ما تشاهده من سوء المعاملة، كما قال تعالى: {خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ}[١٦٢]، ومثله قوله تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ}[١٦٣][١٦٤].

الآية السادسة عشرة

قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ. وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾[١٦٥].

المعنى العام

في هذه الآيات إخبار من الله تعالى عن القيامة التي تغشى الخلائق بأهوالها وأفزاعها، فوجوه الكفار يوم القيامة ذليلة بالعذاب، فهي خاضعةٌ مهينة. فالمراد بالخشوع هنا: المذلة، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ ﴾[١٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾[١٦٧،١٦٨].

---

(١٦٠) انظر المقتطف من عيون التفاسير ١٣٤/٥، ٤١٧، وصفوة التفاسير ٥١٤/٣، ٢٨٤، وأيسر التفاسير ٣٥٩/٤.

(١٦١) النازعات: ٤٦.

(١٦٢) القمر: ٧.

(١٦٣) القيامة: ٢٤.

(١٦٤) انظر تفسير ابن كثير٤٦٧/٤، والتحرير والتنوير٦٨/٣٠.

(١٦٥) الغاشية: ١، ٢.

(١٦٦) الشورى: ٤٥.

(١٦٧) المعارج: ٤٤.

(١٦٨) انظر تفسير الطبري١٥٩/٣٠، ١٦٠، وتفسير البغوي ٨ /٤٠٧، وتفسير القرطبي ٢٦/٢٠، وتفسير الخازن ٢٣٧/٧، وتفسير ابن كثير ٥٠٢/٤، وفتح القدير ٦١٤/٥، ٦١٥، وتفسير السعدي (٩٢١، ٩٢٢)، وصفوة التفاسير ٥٥٢/٣.

الهدايات والدلالات

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ من أسماء القيامة الغاشية، لأنها تغشى الناس بأهوالها.

٣ـ وجوه الكفار يوم القيامة ذليلة مهينة، لما اعترى أصحابها من الخزي والهوان [١٦٩].

لطائف التفسير والمعاني البلاغية

الاستفهام هنا أريد به التعجيب مما في حيِّزه، والتشويق إلى استماع الخبر، وللتنبيه والتفخيم لشأنها، والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة، التي حقها أن يتناقلها الرواة، ويتنافس في تلقيها الوعاة، من كل حاضر وباد. أي: هل جاءك يا محمد خبر الداهية العظيمة التي تغشى الناس وتعمهم بشدائدها وأهوالها.

و: ﴿ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ هنا: علم بالغلبة على ساعة القيامة، كما يؤذن بذلك قوله عقبه: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم الغاشية، أو يوم إذا غشيت. وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ إلى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [١٧٠] استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي، كأنه قيل من جهته صلى الله عليه وسلم: ما أتاني حديثها، فما حديثها؟ فقيل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾. فـ﴿وُجُوهٌ﴾ مبتدأ، ولا بأس بتنكيرها، لأنها في موضع التنويع، و: ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ و: ﴿عَامِلَةٌ﴾ [١٧١] و: ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ [١٧٢] أخبار ثلاثة عن: ﴿وُجُوهٌ﴾، والمعنى: أناس خاشعون الخ. والوجوه هنا: كناية عن أصحابها، فعبر بالجزء عن الكل، وقرينة ذلك قوله تعالى بعده: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [١٧٣] إذ جعل ضمير الوجوه: ﴿لَهُمْ﴾ لجماعة العقلاء. وأوثرت الوجوه بالكناية عن أصحابها هنا، وفي مثل هذا المقام[١٧٤]، لأن الوجه أشرف أعضاء الإنسان، ولأن حالة الوجوه تنبئ عن حالة أصحابها، إذ الوجه عنوان عما يجده صاحبه من نعيم أو شقوة، كما يقال خرج بوجه غير الوجه الذي دخل به. ويجوز أن يجعل إسناد الخشوع والعمل والنَّصب إلى: ﴿وُجُوهٌ﴾ من قبيل المجاز العقلي، أي أصحاب وجوه.

---

(١٦٩) انظر تفسير القرطبي ٢٥، ٢٦/٢٠، والمقتطف من عيون التفاسير ٤٨٥/٥، وصفوة التفاسير ٥٥٢/٣، وأيسر التفاسير ٣٥٩/٤.

(١٧٠) الغاشية: ١٦.

(١٧١) الغاشية: ٣.

(١٧٢) الغاشية: ٣.

(١٧٣) الغاشية: ٦.

(١٧٤) كما في قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ} عبس: ٣٨.

و : ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ متعلق بـ : ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ ، و قدم على متعلقه للاهتمام بذلك اليوم.والتنوين في : ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عوضاً عن الجملة ، ولم تتقدم جملة تصلح أن يكون التنوين عوض عنها ، لكن تقدم ما يدل عليها ، وهو بلفظ : ﴿ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ ، وأل موصولة باسم الفاعل ، فتنحل للتي غشيت ، أي : للداهية التي غشيت ، فالتنوين عوضٌ عن هذه الجملة.

وأوثر وصف : ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ ،و : ﴿عَامِلَةٌ﴾ ، و : ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ تعريضا بأهل الشقاء ، بتذكيرهم بأنهم تركوا الخشوع لله ، والعمل بما أَمَرَ به ، والنصب في القيام بطاعته ، فجازاهم بذلك خشوع مذلة ، وعمل مشقة ، ونصب إرهاق جزاء وفاقاً.(١٧٥) نعوذ بالله من حال ومآل هؤلاء.

الخ اتمـ ـة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد ،وعلى آله وأصحابه أجمعين ،والتابعين لهم بإحسان. أما بعد :

فبعد إعداد هذا البحث في آيات الخشوع ـ دراسة تفسيرية ـ ظهر لي الآتي :

١- هذا الموضوع في غاية الأهمية ، فهو روح العبادة وسرها.

٢- التزام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم ،والسلف الصالح من هذه الأمة رحمهم الله تعالى بهذا الخلق العظيم.

٣- تفاوت الناس في الخشوع لله سبحانه وتعالى بحسب القوة والضعف في إيمانهم.

٤- تهاون الكثير من الناس في إخلاص الخشوع لله تعالى ، وانشغالهم بأمور الدنيا.

٥- الخشوع المعتبر هو ما تواطأت فيه الجوارح مع القلب ، وهذا خشوع الإيمان ، أما ما ظهر على الجوارح من أجل محمدة الناس ،وفرغ منه القلب ، فهو خشوع النفاق ، الذي لا ينتفع منه صاحبه ، ولو تكلف له. أما إذا تكلف له مع مجاهدة حضور قلبه ، لترويض النفس على خشوعها لله تعالى ، فهذا ليس بمذموم ، بشرط أن لا يظهر ذلك أمام الناس.

٦- أسباب الخشوع كثيرة ، وبعضها تابع لبعض ، ولكن أهمها : استحضار عظمة الله تعالى ، والإقبال إليه بالفكر والقلب والجوارح ، فيعبد الله كأنه يراه.

٧- الخشوع في القرآن يكون بمعنى : التواضع ،والخوف ،وسكون الجوارح ، والتذلل ، واليبس.

---

(١٧٥)انظر تفسير القرطبي ٢٦/٢٠ ، وتفسير الخازن٢٣٧/٧ ، وتفسير أبي السعود ١٤٨/٩ ، وحاشية الجمل على الجلالين ٥٢٤/٤ ، والتحرير والتنوير ٢٩٤/٣٠ـ٢٩٦ ، والمقتطف من عيون التفاسير ٤٨٥/٥ ، وصفوة التفاسير ٥٥١/٣.

٨- خشوع المؤمن لله تعالى في الدنيا سبب لأمنه يوم القيامة، أما كبرياء وتعالي المتكبرين عن طاعته جل وعلا فهو سبب لذلهم وهوانهم على الله تعالى يوم القيامة.

٩- المبادرة إلى اتخاذ القرار الشجاع، والدخول في موكب الإيمان، والخشوع لله تعالى، والعمل بشرعه، بكل قوة وشجاعة، وتجرد لله عز وجل، واستعانة بالصبر والصلاة.

١٠- هذه المبادرة كبيرة وشاقة، إلا على الخاشعين الخاضعين لله عز وجل، العاملين بتقواه، الموقنين بلقائه والرجعة إليه.

١١- اليقين بلقاء الله تعالى هو مناط الخضوع له سبحانه و تعالى، والعمل بتقواه، والصبر على مجاهدة النفس، ومنعها من تطاولها، وترك حظوظها، وقمعها عن شهواتها.

١٢- ظهور أثر القرآن على العلماء الصالحين من أهل الكتاب، حيث خروا سجداً لله تعالى.

١٣- مهابة الحي القيوم تغمر النفوس يوم القيامة، فتذل وتسكن هيبةً لله تعالى.

١٤- فضيلة المسارعة إلى الخيرات، والخشوع في العبادات، وخاصة في الصلاة والدعاء.

١٥- ظهور أثر العمل الصالح الخالص، والتذلل لله سبحانه وتعالى في السر والعلن.

١٦- تقرير مبدأ التساوي بين الرجال والنساء في العمل والجزاء، فيما كلف الله تعالى به النساء والرجال معاً، أما ما خص به سبحانه الرجال أو النساء فهو على خصوصيته.

١٧- تقرير عقيدة البعث والجزاء بإحياء الأرض بعد موتها.

١٨- خشوع الكفار يوم القيامة ليس من التقوى ولا من الحياء، لكنه من الذل والهوان.

١٩- بيان بعض أهوال القيامة وشدائدها، بأسلوب مخيف يهز المشاعر، ويحرك في النفس الرعب والفزع من هول ذلك اليوم العصيب، لأخذ العبرة والعظة.

٢٠- التذكير للمؤمنين بالحرص على المسارعة إلى طاعة الله تعالى، ولزوم تقواه، مع النهي عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب، فليس وراءها إلا الفسق والخروج عن طاعة الله تعالى.

٢١- لا يأس من قلب خمد وأعرض وقسا وتبلد، فإنه يمكن أن تدب فيه الحياة، وأن يخشع لذكر الله تعالى، فالله تعالى يحيي الأرض بعد موتها.

٢٢- بيان عظمة القرآن الكريم، ودناءة حال الإنسان الذي لا يتأثر بهذا القرآن.

٢٣- الحث على تأمل مواعظ القرآن، وأنه لا عذر لأحد في ترك التدبر، وتوبيخ من لم يتخشع عند تلاوة القرآن أو استماعه.

٢٤- تحقق وعيد الله عز وجل في الدنيا بعقاب الكافرين يوم القيامة.

٢٥- ذلة أبصار الكافرين يوم القيامة ليس من خشية الله تعالى، وإنما من شدة الذل والهوان.

٢٦- من أخلص خشوعه لله تعالى في الدنيا، أكرمه ربه جل وعلا في الآخرة، فالجزاء من جنس العمل.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يبارك في هذا البحث، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

المراجع

[١] *آيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية*: عبد الله حسين المغربي، نشر بيت الأفكار الدولية.

[٢] *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*: محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، نشر عالم الكتب بيروت.

[٣] *أعمال القلوب*: د/ خالد بن عثمان السبت، ينظر موقع المؤلف: www.khaledalsabt.com

[٤] *إنباء الغُمر بأبناء العمر في التاريخ*: للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢)، طبع تحت مراقبة د/ محمد عبد المعين خان، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

[٥] *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*: أبو بكر جابر الجزائري: الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

[٦] *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع*: محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، وضع حواشيه خليل المنصور، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

[٧] *التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار*: الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي(٧٩٥هـ)، قدم له وعلق عليه د/ محمد جميل غازي، نشر المكتبة العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

[٨] *تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*: أبي السعود محمد بن محمد العمادي (٩٥١هـ)، نشر دار أحياء التراث العربي بيروت.

[٩] *تفسير البغوي معالم التنزيل*: أبو محمد الحسين بن سعود البغوي (٥١٦هـ)، تحقيق/ محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، نشر دار طيبة، الرياض ١٤١٢هـ.

[١٠] *تفسير التحرير والتنوير*: محمد الطاهر بن عاشور(١٣٩٤هـ)، نشر دار سحنون تونس.

[١١] *تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل*: علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي(٧٢٥ هـ)، نشر شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر الثانية ١٣٧٥هـ.

[١٢] *تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل*: محمد جمال الدين القاسمي(١٣٣٤هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء الكتب العربية القاهرة.

[١٣] *تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل*: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (٧٠١هـ)، نشر المكتبة الأموية بيروت.

[١٤] *تفسير القرآن العظيم*: إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(٧٧٤هـ)، نشر دار المعرفة بيروت١٤٠٠هـ.

[١٥] *التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب*: محمد بن عمر بن الحسين الرازي(٦٠٦هـ)، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

[١٦] *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*: عبد الرحمن بن ناصر السعدي(١٣٧٦هـ) ، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، تولى طبعه سليمان بن عبد العزيز الراجحي، نشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الأولى١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

[١٧] *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(٢١٠هـ)، نشر دار الفكر بيروت، ١٤٠٨هـ.

[١٨] *الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي*: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩هـ)، تحقيق/أحمد محمد شاكر، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

[١٩] *حاشية الجمل على الجلالين المسماة بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية*: العلامة سليمان الجمل(١٢٠٤هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

[٢٠] *حقيقة الخشوع*: محمد متولي الشعراوي (١٤١٩هـ)، نشر دار القلم بيروت.

[٢١] *الخشوع: منزلته، موجباته، آثاره*: عبد الحكيم بن محمد بلال. ينظر موقع: www.lahaonline.com

[٢٢] *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ) تحقيق /د. أحمد الخراط، نشر دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

[٢٣] *الدر المنثور في التفسير المأثور*: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، نشر دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

[٢٤] *الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة*: أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢)، نشر دار الجميل بيروت ١٤١٤هـ.

[٢٥] *الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة*: ابن القيم(٧٥١هـ)، نشر دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٥هـ ١٩٥٧م.

[٢٦] *زاد المعاد في هدي خير العباد*: ابن قيم الجوزية(٧٥١هـ)، ، تحقيق/ شعيب الأرنؤط، عبد القادر الأرنؤط، نشر مؤسسة الرسالة بيروت، الأولى ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

[٢٧] *سلسلة الأحاديث الصحيحة* : محمد ناصر الدين الألباني (١٩٩٩م)، نشر المكتب الإسلامي بيروت، ١٣٩٢هـ.

[٢٨] *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* : إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار العلم للملايين بيروت، الأولى١٣٧٦ هـ ١٩٥٦م.

[٢٩] *سنن ابن ماجة* : الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

[٣٠] *سنن أبي داود* : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي(٢٧٥هـ)، إعداد وتعليق/ عزت عبيد الدعاس، نشر محمد علي السيد حرص، الأولى ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م.

[٣١] *سنن النسائي*: أحمد بن شعيب بن علي النسائي(٣٠٣هـ)، نشر دار الفكر بيروت، الأولى ١٣٤٨هـ.

[٣٢] شعب *الإيمان* : الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق/ أبي هاجر محمد بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

[٣٣] *صحيح البخاري*: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية استانبول ١٩٨١م.

[٣٤] *صحيح الجامع الصغير*: محمد ناصر الدين الألباني (١٩٩٩م)، نشر المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

[٣٥] *صحيح سنن أبي داود* : محمد ناصر الدين الألباني (١٩٩٩م)، نشر المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٩هـ.

[٣٦] *صحيح سنن الترمذي*: محمد ناصر الدين الألباني (١٩٩٩م)، نشر المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

[٣٧] *صحيح سنن النسائي*: محمد ناصر الدين الألباني (١٩٩٩م)، نشر المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٩هـ.

[٣٨] *صحيح مسلم*: أبو الحسن مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري(٢٦١هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

[٣٩] *صفوة التفاسير*: محمد علي الصابوني، نشر دار القرآن الكريم بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

[٤٠] *عمارة المساجد المعنوية وفضلها* : عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، وزارة الشئون الإسلامية، الأولى ١٤١٩هـ.

[٤١] *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(٨٥٢هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر المكتبة السلفية القاهرة الثالثة ١٤٠٧هـ.

[٤٢] *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ)، نشر دار المعرفة بيروت.

[٤٣] *فيض القدير شرح الجامع الصغير*: عبد الرؤف المناوي(١٠٣١هـ)، نشر دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.

[٤٤] *قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم*: الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق/ عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٠م.

[٤٥] *اللباب في علوم الكتاب*: لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل (٨٨٠هـ)، تحقيق وتعليق/ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، د/ محمد سعد رمضان حسن، د/ محمد المتولي الدسوقي حرب، نشر محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

[٤٦] *لسان العرب*: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (٧١١هـ)، نشر دار صادر بيروت، الأولى١٩٩٧م.

[٤٧] مجموع *الفتاوى*: أحمد بن تيمية، تحقيق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (٧٢٨هـ)، وساعده ابنه، محمد، نشر دار عالم الكتب الرياض، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

[٤٨] *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*: ابن القيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق/ محمد حامد الفقي، نشر دار الكتاب العربي بيروت، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

[٤٩] *مسند الإمام أحمد*: أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ، نشر دار صادر بيروت.

[٥٠] *المعجم الصوفي*: د/ محمود عبد الرازق، نشر دار ماجد عسيري، السعودية جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

[٥١] معجم *مقاييس اللغة*: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق / عبد السلام محمد هارون، نشر دار الكتب العلمية إيران.

[٥٢] *مفردات ألفاظ القرآن*: الراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ)، تحقيق/ صفوان عدنان داوودي، نشر دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت.

[٥٣] *المقتطف من عيون التفاسير*: مصطفى الخيري المنصوري، تحقيق / محمد علي الصابوني، نشر دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

Submission Verses: Explanatory Study

M. A. M. Al-aydi
Assistant Professor at department of The Holy Quran & its sciences
Faculty of Islamic law & Principles of Religion, AL-Qassim University

(Received 21/1/1429H.; accepted for publication 3/6/1429H.)

Abstract. I prepared introduction , and I mentioned the cause to chose this topic , then preamble and mentioned at first: definition of submission literally and idiomatically , I chose what is make probable by ibn alqayeem: which is standing of heart before the lord of the world in submission. second: its reality is: what is in our soul of love , submission and weakness for Allah , this cause submission of hear and members together , consistent with worship. third: its degrees: divided into three degrees. fourth: its importance: it is the soul of worship and privacy. fifth: its types , it is divided into two types: belief submission , and hypocrisy submission . sixth: its causes: it is so much , the best important cause is: invocation of Allah glory , and approach with think , heart and members , then worship Allah as you see. seventh: the incoming meanings in the holy Quran which is: humbleness , fear , calm of members , and subservience.

Then the explanatory study: I studying submission verses arranged according to the holy Quran , I mentioned the whole meaning utilize from explanations books with clarifying the obscure of strange words and origin of semantics. then I mentioned the intents of verse.then I mentioned charming concerning the verse and rhetorical meanings that easier understanding. then I made ascription of Quranic verses mentioning name of sura and number of verse. then exposition of traditions (takhreeg) satisfied with the two true books (al-bokhari – moslim) or one of them , if I not find in the true books , then I move to the sunna books , with discretion to clarify its rank. I do not translate for the great figures. then I mentioned the conclusion then index of references.